روايات الهلال

أميلي نوتومب

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

اغتيال

العدد ٦٥٠ - فبراير ٢٠٠٣ - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ

رواية الهلال

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمى
تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

سكرتير التحرير
مؤمن حسين

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٠٠٠ فلس - الكويت ١٢٥٠ فلسا - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١,٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الامارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٣,٥ دولار - سويسرا ٥ فرنكات.

الاصدار الأول
يناير ١٩٤٩

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٦٠ جنيها داخل ج. م. ع تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - أمريكا وأوربا وآسيا وأفريقيا ٥٠ دولارا - باقى دول العالم ٦٠ دولارا

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال - ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

للاشتراك فى الكويت:
السيد عبدالعال بسيونى زغلول
الصفا ص. ب. ٢١٨٣٣
(13079) ت: ٤٧٤١١٦٤

الادارة : القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات: ص. ب: ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا المصور - القاهرة ج. م. ع.

تلكس :
Telex 92703 hilal u n

فاكس :
FAX 3625469

عنوان البريد الإلكترونى :
darhilal@idsc. gov . eg

اغتيال

تأليف

أميلى نوتومب

ترجمة

محمود قاسم

●

دار الهلال

هذه هى الترجمة الكاملة لرواية

ATTANTAT

تأليف

AMELIE NOTHOMB

ALBIN MICHEL , 1998

الناشر

الغلاف للفنان

وليد عبيد

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

قبل أن تقرأ

لم تتشكل ظاهرة أدبية عالمية فى العقد الأخير مثلما حدث مع الكاتبة أميلى نوتومب. ليس فقط لأنها بدأت نشاطها الإبداعى فى سن مبكرة ، حيث نشرت روايتها الأولى وهى فى الثالثة والعشرين من العمر وكانت قد قامت بتأليف عشر روايات قبل هذه السن لم تتمكن من نشرها.

بل أيضاً لأنها فى هذه السن الصغيرة ، فازت عن إحدى رواياتها بجائزة الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٩٩م، وهى رواية «دهشة وارتجافات»، كما أن ناشرها الفرنسى البان ميشيل إعتاد أن يطرح فى كل خريف واحدة من رواياتها الجديدة ، التى تتصدر قوائم المبيعات لعدة أسابيع ، قبل أن تدخل فى المنافسة مع روايات أخرى لعدة أشهر، مثلما حدث مع روايتها «فضائية العدد» التى صدرت فى خريف عام ٢٠٠١م، ثم مع روايتها «روبير اسم علم» التى تتصدر المبيعات منذ ستة أشهر، وحتى الآن فى فرنسا.

وأميلى نوتومب ليست كاتبة روايات بوليسية أو روايات تجسس، أو قصص عاطفية ملتهبة، لكنها أديبة موهوبة ، يحتاج القارىء الذى يتابع ابداعها إلى حصيلة واسعة المجال من الثقافة، والمعرفة، وإلا ما استطاع بسهولة متابعة المعانى الخلفية لما فى الرواية.

لذا ، فنحن أمام ظاهرة أدبية موجودة بقوة ، لاتمثل فقط الثقافة الأوربية الحديثة ، ليس باعتبار أنها بلچيكية الأصل ، وتعيش الآن فى باريس، ولكن أيضاً لأنها انغمست فى الثقافة الآسيوية ، خاصة اليابانية، حيث قضت السنوات الأولى من حياتها فى اليابان، ورافقت أباها الدبلوماسى إلى عدة أوطان ، تابعت ثقافاتها ، وصادقت الأدباء فيها ، وانعكس هذا بوضوح فى كتاباتها..

هى إذن ظاهرة أدبية ، لكننا لانكاد نعرف عنها شيئاً..

ولدت اميلى فى عام ١٩٦٧م فى مدينة «كوب» اليابانية ، لأب سفير، وتبعا لمهنة الأب فقد عاشت فى اليابان السنوات الخمس الأولى من حياتها مع شقيقتها الوحيدة ، ثم صارت تلميذة فى مدارس حكومية عديدة بكل من «أندونيسيا» ونيبال، وذلك تبعا للدول التى عمل فيها الأب سفيرا . وعندما كبرت الفتاة ، قررت أن تدرس الفلسفة فى جامعة بروكسل، وذلك فى المدينة التى قررت السكن فيها منذ تخرجها فى الجامعة حتى الآن.

وقد اتقنت اميلى عدة لغات ، منها بالطبع اليابانية ، والإنجليزية ، ولاشك أن دراسة الفلسفة قد تركت أثرها فى أعمالها ، فأبطالها أصحاب مواقف حقيقية من الحياة ، وليسوا مجرد مخلوقات ، ويبدو ذلك واضحاً فى شخصية إبيفل فى روايتها «اغتيال»، فهو نموذج الأحدب المشوه ، الدميم الذى رأيناه فى رواية «أحدب نوتردام» لفيكتور هيجو، لكن نوتومب ترى أن أحدب نهاية القرن العشرين سيكون عاشقاً ومثقفاً ورافضاً للإغراء الجنسى من ملكات جمال العالم بل سيكون محكما فى المسابقات النهائية لاختيار أجمل فتاة فى الكون .

كتبت اميلى نوتومب إحدى عشرة رواية ، واحتفظت بها فى ادراجها قبل أن تدفع بروايتها «علم صحة القاتل» عام ١٩٩٢م إلى الناشر ، وقد حققت الرواية مبيعات ضخمة ، واستقبلت إميلى فى الأوساط الثقافية بحفاوة شديدة، رغم أن البعض أرجع هذا النجاح إلى الكثير من العبارات المكشوفة التى تضمنتها روايتها ، مما حدا باميلى أن تبتعد عن هذا النوع من العبارات فى روايتها التالية ، لتؤكد أن الكلمات المكشوفة لاتصنع وحدها كتابة جيدة.

ورغم أن الكاتبة تقيم فى بلچيكا ، فان المجلات الأدبية تتعامل معها على أنها كاتبة فرنسية ، ربما لأن ناشرها فرنسى اللغة ، والوطن ، وربما لاقتراب الثقافتين معا، وهذه ظاهرة عادية تحدث دوما ، ولعل من أبرز

الأسماء التى تمثلها الكاتبة فرانسواز ماليه جوريس.

وتقول مجلة «لوبوان» فى ٣ نوفمبر ٢٠٠٠م إننا أمام كاتبة متفردة، لاتشبه أحداً من الكتاب الأقدمين أو المعاصرين وأن النقاد قد أحنوا رؤوسهم أمام روايتها الأولى الصغيرة، التى بدت كأنها فيلم سينمائى محكم المونتاج، بما يعنى أن الجمل والمفردات اللغوية موجودة فى أماكنها بشكل محدد تماماً .

ومن المهم أن نستعرض أسماء روايات الكاتبة باعتبار إنها المرة الأولى التى يتم فيها الكتابة عنها باللغة العربية، فبعد روايتها الأولى عام ١٩٩٢م نشرت فى العام التالى «العاشق والرهينة»، ثم رواية «أشياء قابلة للاشتعال» عام ١٩٩٤م، و«نقد لاذع» عام ١٩٩٥، و«الشمال» ١٩٩٦م ، و«اغتيال» فى عام ١٩٩٧، وفى العام التالى «زئبق»، وفى عام ١٩٩٩م حصلت على الجائزة الكبرى للرواية عن الأكاديمية الفرنسية عن روايتها «دهشة وارتجافات»، ثم قدمت روايتها «ميتافيزيقا الأنابيب» عام ٢٠٠٠م، وفى العام التالى كانت روايتها «فضائية العدو»، و«روبير اسم علم» عام ٢٠٠٢ .

وأسماء هذه الأعمال بالغة الغرابة ، وغير تقليدية تماماً باللغة الفرنسية، وتقول الكاتبة: «أتعامل كأننى فى حفل راقص للروك» وتأتى رواياتى «كأننى أرقص معها». وهى تقوم بترقيم روايتها حسب الرواية الأولى التى ألفتها فى حياتها ، بصرف النظر عن النشر فهى ترى أنها ألفت خمس وثلاثين رواية، فى نفس العدد من السنوات ، «عندما أكتب لا أبحث عن النشر، وبعد الانتهاء من الرواية أدفع بها إلى الناشر وكأننى أحاول التخلص منها» وعن حياتها اليومية نشرت مجلة لوبوان أن «الحياة اليومية غير موجودة، ولو كانت هناك فضيلة ما للوجود ، فهى على النحو التالى : أستيقظ فى بروكسل على الترنيمات الأولى لأصوات الترام فى الخامسة والنصف صباحاً، مما يعنى إننى قد

نمت أطول فترة ممكنة. وتستيقظ أختى جوليت قبلى بساعتين حين تنشغل بإعداد الحلويات والطبخ ، وأعد بنفسى نصف لتر من الشاى الداكن، أحتسيها مرة واحدة ، وأجلس أمام أوراقى وأحس أننى أقيم فى غواصة أثناء الكتابة ، وبعد ذلك أطالع بريد القراء، وأرد على هذه المراسلات ثم أنزل إلى شوارع بروكسل للسير، أما الموسيقى فلها وقت آخر».

وتتعامل اميلى نو تومب مع العالم بمنظور محدد. فرواياتها أقرب إلى المسرحيات محدودة الشخصيات وتبدو كأنها تدور فى حلبات مغلقة . وتمتلىء بحس السخرية ،والتهكم المتبادل،وتحس كأنما هناك غيلان بشرية تسعى لانتهاك أجساد الآخرين . كما يتقابل فى هذه الأعمال مشاهير مع أشخاص يعيشون وراء الغمام ، وغالبا ماتقوم الأشياء المعقدة بخنق البساطة ، وتأتى الثرثرة من أجل القضاء على الصمت،وتحدث مواجهة حاسمة بين الأقوياء، والأبرياء. باعتبار أن القوة لا يمكن أبداً أن تتسم بالبراءة.

والكاتبة التى نشرت روايتها الأولى وهى فى الخامسة والعشرين من العمر، حاولت استرجاع بعض تجاربها الشخصية من أجل أن تسكبها فوق الورق، مثلما حدث مع روايتها «دهشة وارتجافات» التى بيع منها قرابة نصف مليون نسخة، حيث تتحدث عن تجربتها اليابانية، والتى سوف نتوقف عندها مع رواية «إغتيال» .

وتتعامل الكاتبة مع رواياتها باعتبارها كراسات تدون فيها شابة صغيرة وقائع ماتحب أن تنقله إلى الناس، فالبطلة فى روايتها «دهشة وارتجافات» تدعى اميلى، وهى تعمل موظفة فى شركة يابانية ضخمة للمقاولات ، يقع مركزها الرئيسى فى مدينة طوكيو، وفى يناير ١٩٩٥م (دائماً ماتدور أحداث رواياتها فى يناير) تلتقى بالسيد سايتو ، فى مكان أشبه بالمتاهة، انه مكان

خانق ، وبعد ذلك يبدأ الاثنان فى تبادل رسائل «باردة» لكنها معبرة ، وتدعو الفتاة الرجل إلى مباراة فيما بينهما فى الجولف ، وسرعان ماتكتشف زيف المؤسسات الاقتصادية من خلال هذا الرجل، فعماد العلاقات فيها هو الكذب والرياء ، وتحس أن البشر ليسوا سوى نسخ كربونية مصورة عن طريق أجهزة تصوير كربونى.

وهذا النوع من المجتمع بالغ الغرابة. فالناس يمكنها أن تتحدث فى المراحيض، والأبنية أكثر من الأماكن المفتوحة . ومع ذلك فمن الأهمية ألا يكف الإنسان عن أن يكون آدميا، يعرف ملامح الوجوه ويعجب بأصحابها، وأن يتحرر فى داخله من عبودياته المتعددة، ومنها شهوة الجسد، ولذا فرغم جمال أبطال رواياته ، خاصة النساء ، فإن الجمال الروحى أشد تأثيرا وبقاء.

ويبدو ذلك واضحاً فى الشخصية الرئيسية فى روايتها «اغتيال» فهى بالغة الحسن، مبهرة لكافة الرجال الذين يحطيونها، بمن فيهم أبيفان الدميم الذى يحبها ، ويتضح ذلك من المواجهة الأخيرة التى تحدث بين الطرفين، فهى تصدم بأنه واقع فى غرامها، تحت ادعاء أنه عندما يقع المرء فى العشق، فعليه أن ينظر إلى أعماق الحبيب ، وليس ظاهره ، وتكون الصدمة أن ايتل تطلب من الدميم أن يحب دميمة مثله، وان يكتشف أعماقها.

ورغم الجمال المبهر الذى تتمتع به ايتل، فانها تبدو بالغة البساطة والتلقائية، وتقع فى حب فنان أقل موهبة، وحضوراً، منتفخاً دون أن يمتلك ما يمكن للمرء أن يستند إليه، ومثل هذه المرأة الجميلة موجودة فى أغلب أعمال الكاتبة.

أما روايتها «فضائية العدو» فهى تدور فى مطار دولى أثناء انتظار قيام برحلة من باريس إلى برشلونة، لكن الرحلة تتأخر ويعانى آنجوست من أن

يكون محبوساً فى عالم ضيق لعدة ساعات، ويلتقى برجل غاضب مثله، هو تكستور تكستل(منسوج النسيج) الذى يدخل فى ثرثرة جوفاء مع آنجوست حيث يحكى الأول قصة حياته بتعبيرات غير مألوفة، ويقول أنه أرتكب جريمتين دون أن يكتشف أحد أنه الفاعل. الجريمة الأولى هى اغتصاب امرأة وسط المقابر ، أما الثانية فهى قتل هذه المرأة قبل عشر سنوات، والتى التقاها مصادفة.

وعلى طريقة الكاتبة، فإن آنجوست يكتشف أن المرأة القتيلة ليست سوى زوجته، فيطلب من محدثه أن يكف عن الحكى. وتبدو الكاتبة هنا وكأنها تصنع مفرداتها اللغوية الخاصة بها، وهى مفردات تجعل من الصعب نقلها إلى لغات أخرى ، خاصة اللغات غير اللاتينية، كأن تقول (أنا هل يكون أخر) و(كائن إنسان)، هل يمكن أن يكون عدو نفسه؟... أو «لماذا أنا أقتل» هو ...، وكلمة أقتل هنا تأخذ منطوقاً لفظياً بما يعنى «أنت» عند التلفظ بها، أو حسب المفرد الخاص بالقواعد «أنا، أنت، هو». لذا فإن الكاتبة تبدو كأنها تكتب للفرنسيين فى المقام الأول، وقد أقرت هذا مترجمة أعمالها خارج بلادها، عدا إيطاليا .

فالقاتل هنا فخور أنه ارتكب الجريمة الكاملة ، بدليل أنه ظل حراً طوال هذه السنوات بعد أن «فعلها» ، ونحن هنا لسنا أمام قصص جرائم، فالقاتل تكتسور لايتقابل مع انجوست إلا بعد صفحات عديدة من الرواية، وتصوره لنا المؤلفة على أنه مثقف ، يقرأ كافة المبدعين الكبار فى تاريخ البشرية من جوته إلى باسكال، ولواتسون ، وسبينوزا، فضلا عن قراءته فى نظرية الأنانية .

من الواضح أن أميلى نوتومب استفادت بكثرة من دراستها ، وثقافتها الخاصة، ورحيلها عبر أماكن عديدة من العالم ، يبدو هذا فى رواية (اغتيال)

والرواية تصف سيبريا التى تراها من فوق الطائرة، فالكاتبة تحاول أن تلتقط خيطا من خيوط أحد الأعمال القديمة المتميزة لتصيغها بشكل وهوية مختلفتين تماماً، فمن كوزيمودو في «أحدب نوتردام» فى رواية «اغتيال» إلى دكتور جيكل ومستر هايد «لستفنسون» فى «فضائية العدو».

ضحكت فى المرة الأولى التى رأيت فيها نفسى فى المرآة : لم أصدق أننى أنا الآن . عندما تنعكس صورتى أضحك . أعرف أن هذه هى أنا «وكم من قبح لديه أشياء غريبة . يصل اسمى الأول بسرعة . كنت قد بلغت السادسة عندما صرخ فىّ «صبى» فى الفناء (كوازيمودو) . صاح الأطفال معه وقد اعتراهم جنون الفرحة : (كوازيمودو، كوازيمودو).

لم يسمع أى منهم أبداً عن فيكتور هيجو ، ولكن اسم «كوازيمودو» كان موجودا بما يكفى أن نسمعه لنفهمه .

ليس هناك أحداً مضطراً للحديث عن الجمال ، سوى أصحاب الدمامة . فأنا المخلوق الأكثر قبحاً الذى تقابله : واعتقد أن لدىّ الحق فى ذلك . وهو امتياز خاص لم اندم عليه أبداً .

ثم ان هناك رغبة فى أن أكون دميماً، على سبيل المثال، ليس لدى أحد متعة أكثر منى فى التجوال فى الشارع : اتصفح وجوه المارة ، ابحث عن لحظة مقدسة حين ادخل فى مجال رؤيتهم – كم اعتبر ردود أفعالهم، وأولع بالرعب الذى ينتاب أحدهم ، والاضطراب الرخو للآخر ، أعبد الذى يدير ناظريه طالما أنه مهتم، اعبد السحر الطفولى لهؤلاء الذى لايمكنهم أن يبعدوا أعينهم عنى.

أود لو صرخت فيهم: «وأيضاً . أنتم لم تروا سوى وجهى! اذا أمكنكم تأمل جسدى، فسوف أترك فيكم أثرا».

هناك أمر أسىء استخدامه فيما يتعلق بالجمال، فكل الناس متفقين أن يقولوا أن المنظر الخارجى أقل أهمية من الروح التى تتضمنه ، وما إلى ذلك أو : نحن نستمر فى تمجيد المظهر الخارجى . وأهمال الخبايا الحقيقية للناس من طرازى.

وهكذا يكذب الناس . اتساءل هل يعون ذلك؟. هذا يثير حفيظتى: فكرة أنهم يكذبون دون أن يعرفوا.

أود لو أعلنت لهم فى وجوههم : «مارسوا لعبة الأرواح النقية إذا كان هذا يسعدكم . وتأكدوا أنكم لاتحكمون على الناس كما يجب ، إذا كان هذا يدفعكم للتسلية . لكن لاتكونوا منخدعين!».

وجهى أشبه بأذن . يتقعر مع عدمية الغضاريف المنتفخة فى أحسن حالتها. تتفق مع المناطق التى ننظر فيها إلى أذن ، أشبه بشرفة مقوسة أيلة للسقوط، لكنها دائماً لاتتفق مع أى ملامح معروفة للوجه.

وفى مكان العينين، فأننى أضع زرارين واهيين فى حالة تقيح. وأبيض مقلتى أشبه ببقع الدم . مثل أشرار القصص الأدبية الخيالية . ورموش مرتعدة تقارب مثيلتها فى الاسماك الميتة.

يبدو شعرى الكثيف أشبه بالسجاجيد الحمضية ، وتترك شكلا قذرا حتى ولو غسلناها للتو. وأنا بالتأكيد أقص شعر رأسى لو لم يكن مغطى بالاكزيما.

وشفقة ببقية من يحوطوننى، فكرت أن أطلق لحيتى وشاربى، لكننى تخليت عن هذه الفكرة، لأن هذا لن يخفف من دمامتى بما فيه الكفاية. فى الحقيقية، وكى يكون لدىّ ما أقدمه ، كان يجب أن تنمو لحيتى فوق جبهتى وأنفى.

أما بالنسبة لمشاعرى. فهى أن أتوجه بالكلام إلى هوجو متحدثا إلى أحدب نوتردام قائلاً : «النقض من سمات الوجوه».

اسمى ابيفان اوتوس، اوتوس مثل المصاعد، الذى ليس لديه شىء يراه ولدت فى يوم عيد «ملوك السحرة» .. لم يتمكن والدىّ من اتخاذ قرار بين

جاسبار وملشوار ، وبلتزار ، فاختاروا هذا الاسم الذى يجمع بين الاسماء الثلاثة جميعا.

اليوم ، وقد صرت بالغا، فان الناس يتصرفون من الخارج كأنهم يحترموننى ، لكن هذا لا يمنع أن لديهم متاعبهم فى أن يسمونني ابيفان.

أنا نحيف ، وقد يكون هذا جميلا للرجل ، لكن نحافتى بشعة . كان للسيد المسيح ، وهو فوق الصليب ، بعض رد الفعل مع بطنه المثقوبة ذراعيه المخرومتين، وأغلب الناس الممزقين يشبهون الدراجات البخارية. وكم هذا جميل.

أنا، يمكننى أن أفكر فى عجلة مثقوبة ، مثل كلاب «الشاربى» ، جلدى كشيف وهيكلى العظمى هش. ولحمى المسكين ينسال داخل هذا الزى المضحك، الذى – ممتلئا بشكل بشع – لا يمكنه سوى التدلى رخوا.

حاولت أن أرتدى ملابس ضيقة كى تلعب دورا تخلى عنه جسدى: إنها تشع وتنساب مثل كعكة، فأبدوا هزيلا وسميناً.

ارتدى الملابس البالغة الاتساع ، وهكذا أصبحت أشبه بالهيكل العظمى لم يسعفنى هذا قط ، وراح بعض الطيبين ينصحوننى:

– يجب أن تأكل أكثر.

– لماذا؟ الا ترون أن دمامتى ستزاداد اتساعاً ؟

ذلك لأننى لا أحب أن ينشغل أحد بأمرى.

هناك أشياء ما تم تناولها بشكل سيىء فيما يتعلق بكوازيمودو: فالقراء

لم يمكنهم أن يحبوه ، المسكين ، انه بالغ البشاعة ، يثير الشفقة ، إنه ضحية ميلاده .

وعندما تعلق بأزميرالدا ، كان ذلك بدافع الهتاف للفتاة : أحبيه! انه أعزل! لا تتوقفى عند مظهره الخارجى!..

كل هذا جميل للغاية، ولكن لماذا ننتظر عدالة ازميرالدا لكوازيمودوا؟ ماذا يفعل الآخر ؟ هل يتوقف عند المظهر الخارجى لأى كائن؟ ممنوع أن نظهر عظمة الجمال الداخلى فيما يتعلق بالجمال الظاهر . فى هذه الحالة يجب أن نقع فى غرام عجوز أهتم :وسيكون هذا أمراً يمكن تصديقه.

لكن اختيار قلبه هو عملية بوهيمية ، اتخاذها أمر بالغ البساطة وبه يمكن اغوائنا أن هذا الاحدب لديه روح شفافة ؟

أؤكد أنه دنئ وسيئ ، وأنا أعرف عما اتكلم : كوازيمودو.

وجهى يملؤه حب الشباب : هذا الأخير، أشبه بمطر من الجراد ، يتساقط فوق ظهرى.

هناك معجزتى، وسعادتى الخاصة، ومحبتى المتناهية : فأنا أحمل كل رعب العالم فوق كاهلى ، انه ليس سوى دمامل حمراء وصفراء . حتى الأعمى سوف ينزعج حين يمرر يده عليها . الاتصال بالتلامس اللزج أشد وطأة من الرؤية.

هذا الداء المصرى سقط فوقى عندما بلغت السادسة عشر، سن أميرات الحكايات الخيالية، اصطحبتنى أمى إلى الطبيب وقد أصابها الحزن:

– هذا الطفل عنده جذام!

– لا ، ياسيدى ، إنه حب الشباب.

– ليس حقيقة ، أنا عندى حب شباب ، وليس جذاماً .

– أنت لديك حب شباب شعبى، لكن ابنك أصيب بهذا المرض بشكل أكثر جسامة.

– هل سينتهى هذا بنهاية سن المراهقة؟

– ليس الأمر مؤكداً، لدينا حالات أكثر غموضا.

– هل هذا بسبب نظامه الغذائى؟ ، هذا الطفل يأكل الكثير من الشيكولاته بشراهة.

– منذ فترة طويلة ، والطب لا يؤمن بهذا النوع من الربط ياسيدتى.

وقررت أمى المصدومة أن تستسلم لمصيرها وأن ترعانى بنفسها ، وأخضعتنى لنظام غذائى ، يخلو من الدهون، من أجل أن أصير أنحف بسرعة وقوة، فأصبح جلدا على عظام لدرجة لايمكن التخلص منه. وصرت بعد هذا أشبه بالكلب الشاريبى.

صار «حب الشباب» أشبه بسهم من الخشب، يزدهر بقوة. يمكن أن نقول أن دماملى دخلت فى مرحلة حيوية : فعندما أفرقعها بأصابعى، أشعر أسفل جلدى بآلام حادة.

كشفت أمى، التى قل حبها لى، الظاهرة إلى الطبيب، وهى تظهر له بدهشة زهو هؤلاء الذين يتعرضون لمروق لا يشك أحد فى وجوده:

– ماذا تقول فى هذا يادكتور؟

وكأنما حطمه خطأ من الطبيعة تنهد المسكين قائلا:

– سيدتى ، كل ما نأمله الا يطول هذا المرض.

وجاءتنى فرصة فى حظى العاثر . فقد وصل المرض فى حدوده إلى

كتفى، مما أسعدنى ، فلو وصل المرض إلى وجهى، فأننى لن أخرج قط من المنزل.

وجدت أن التأثير قد نجح كثيراً . إذا كان المرض قد غطى هيكلى العظمى الداخلى، فهو أقل تأثيراً. فعلى سبيل المثال . اذا كان الجسد البشرى يمكنه ممارسة الجنس خمس وعشرين مرة بدلا من مرة واحدة ، فإنه سيفقد قوته الجنسية بسرعة، وهذا يسبب السحر ، انها الجزرة الصغيرة.

كانت عظام كتفى أشبه بواحة من البشاعة الخالصة. تأملتها فى مرآة. وامتعنى هذا المشهد، مررت عليها أصابعى : إنها تتناسب مع رغبتى. دخلت إلى قلبى فرحة لا توصف : سكنتنى قوة تكبرنى ألف مرة ، وتضخمت ، شراييني من اللذة . ما هذا ، ضربة من السماء . ماذا لو كانت هذه اليد هى ايتل وليست يدى؟

بالتأكيد ، هناك ايتل ، فمثلما كان هناك كوازيمودو وازميرالدا . لماذا يكون هناك ابيفان بدون ايتل؟ .

أقسم أننى لم أقل ، أنا الإنسان الأكثر دمامة فى العالم ، أننى سوف أحب أجمل الجميلات، من أجل قصة عليها أن تبقى وسط الأعمال الخالدة، لقد حدث هذا رغما عنى.

رأيت هذا الإعلان فى الجريدة : «ريجسير يبحث عن رجل دميم من أجل فيلم سينمائى». أعجبتنى صياغة النص . فهذا الرجل غير محدد الجنس ولا السن .

لكن «دميم» هى النقطة المهمة . انه يتكلم عنى. ليست هناك صفات أخرى فى هذا الإعلان. فكرة العمل فى «فيلم سينمائى» أصابتنى بالنشوة:

أليس هذا لغوا؟ وبعد لحظة، فكرت أن كل هذا يمكن أن يحدث . وقد لا يحدث ، ربما ينتظرنى عديد من الأفلام الطويلة أو القصيرة.

وتوجهت إلى المكان المطلوب، قالت لى امرأة:

– لا ياسيدى ، نحن نخرج فيلما فنيا . وليس مرعبا.

لم أكن أعرف أن الريچسيرات يجيدون إهانة الناس .

– هل تمارسين هذه المهنة ياسيدتى من أجل أصابة الناس بالجنون.؟

واقتربت منها لمداعبة وجهها. لم يكن لدى وقت. وسرعان ماقذف بى حارسها فوق السجادة، فاقداً الوعى.

وانحنت ساحرة نحوى ، تداعب يدى ، همست بصوت قادم من السماء:

–الأوغاد ، انهم سفلة .

وبين نقطتى مياه ، انسبت بكل شرف :

– لا ، ياآنستى، لقد كنت هكذا فيما قبل .

تكلمت اليها بلا خوف ، لأنها مخلوقة إغمائى، ابتكرت هذا الجمال وكأننى أمارسه بكل غرابة : كانت رأسها من نوع الاكليل المعدنى اللامع ، وعليها قرنى ثور . بعنقه الطويل الأسود ، الجامد ، فوق جسدها الغامض .

أعجبت بعملى، ومارسته ، وكانت لدى كافة الحقوق ، أن أرفع ذراعى وأن المس وجه الملاك، لن تعبر ملامحها عن الشفقة ، أو الرثاء ، لا شىء سوى رقة خالصة ، وكأن القرنين من النوع النادر يزيداها جمالا.

ولأنها مخلوقتى ، فقد طلبت منها :

– والآن ، سوف ترددين أبيات بودلير .

أنا جميلة أحوالي تسير .

من أجل حبي لم تحب سوى الجمال .

أنا الملاك الحارس، ربة الفن العذراء.

ابتسمت ، ولمست أصابعى بشرتها البيضاء بوقار بالغ، انها لىّ . وغنيت سعيدا. هنا صاح رجل :

– ايتل .

انه ليس صوتى

– ايتل

هذه الساحرة ، ليست لى

ناداها الريچسير من أجل أن تضع المكياچ ، كانت ايتل هى بطلة الفيلم رفعتنى بقوة مثيرة للدهشة :

– تعالى معى ، لعل المكياچ يحسن صورتك .

ومشينا حتى الاستوديو ، استند على كتفى ملاكى الحارس ، سأل الريچسير:

– هل هو فى الفيلم ؟

– لا ، لقد عاملة رجال الفريق ككلب ، أراد أن يقدم نفسه لكن جيرار حطم له وجهه. انظر إلى صدغة .

جلست أمام المرآة، وتنبهت ان طرف جبهتى ينزف، ياللغرابة، فأنا أقل بشاعة هكذا، أو أن دمامتى تبدو أقل صدمة إلى جانب هذا الجرح . وجدت نفسى استفيد من هذا. وأحسست بالسعادة لفكرة ان الجميلة اكتشفتنى راح الماكيير يبحث عن كحول فى ١٠ درجة مئوية .

– انتبه، يجب ازالة المرض ، سوف يؤلك .

وأطلقت صرخة ألم . ورأيت ايتل تكز على أسنانها، تعاطفا مع ألمى فأحسست بعنف مضاعف . قلت مازحا :

– كان هذا ينقصى .

أشارت الممثلة : أتمنى أن تضع لاصقاً .

– لماذا ، فبدون جيرار هذا، لم يكن لى أن أقابلك.

ولم ترد على ما رددته :

– إذا لم تحتج ، فسوف يعتقد هؤلاء الناس ان كل شىء مباح، مرجريت ألن تضعى له لاصقا؟

– لا ، من الأفضل للجرح أن يتنفس . سوف أضع لك الميكروكروم. خسارة ياسيدى فهذا ليس جميلا .

هاتان المرأتان المقدستان تتحدثان إلىّ وكأن الخط الأحمر هو الشىء المرعب الوحيد فى وجهى. وباركت الغضب الذى أعماهما .

كانت مرجريت كريمة بالميكروكروم ، والنرفالين ، همست: جبهتى حمراء أيضاً من قبلات الملكة. تذكرت آخر كلمة رددتها «الساحرة»، وسكت فى خوف عبثى ان أكشف سرى.

وضعتنى ايتل فوق مقعد المكياج، أحسست أن جسدى البارد دوما لن يدفء مقعدها : شعرت فى نفسى بمشاعر اباحية تقريباً عندما جلست يوماً فى المترو فى مكان تركته أمرأة لتوها وأدفأته بمؤخرتها .

انتابنى أحساس بالصدمة . همهمت وأنا أنساب فوق المقعد :

– هل تسمحين لى أن أبقى لحظة جالسا؟

قالت بكل رقة : بالطبع .

– نادينى ابيفان .

لا أعرف ان كانت قد سمعتنى ، انشغلت فى تأمل المكياج ، الذى يخلق

لحظة حب بين هاتين المرأتين. ايتل ، التى لديها كل ثقة فى الدنيا، قدمت وجهها العجيب إلى مرجريت ، التى مالت نحوها ، صافية ، واعية لأهمية الهدية، وأولتها كل عناية ، تداعبها بمائة طريقة كل منها أكثر حساسية من الأخرى .

وحانت لحظة الذروة، حيث قالت صانعة خطوط المكياج للنجمة :

– أغلقى عينيك.

طلبت منها أن تظل مغلقة العينين، ونفذت الممثلة ، واكتشفت اهدابها الرائعة فوق هذه الشاشات البكر، تركت الفنانة آثاراً مجردة ، على الأقل لاتعكس أى خطوط تُركت هناك .

فكرت منبهراً : «المكياچ سحر غامض».

تتبعت إخدود أحمر الشفاة ، لو كانت هاتان المرأتان شريفتين لألقيتا بى إلى الخارج ، هذا الإهمال بالنسبة لى مثل معروف من المعاريف، فكوازيمودو المتسامح القلب أصابه الحذر.

قالت مرجريت بكل امتنان : انتهى .

ابتسمت الجميلة ، وهى سعيدة لصورتها فى المرآة: رائع !

ودخل شخص فظ علق على هذا المنظر :

– ماهذا ألم تفهما؟ نحن نخرج فيلما فنيا!

احتجت الفتاة : ومكياچى عمل فنى.

– لا . لقد أفسدتيه .

– لم أفسده ، لقد أبرزت جمالها . إذا كنت تريد القبح ، ما كان عليك أن تختار ايتل.

– حسنا ، تخلصى منه .

اقترب هذا الفظ، الذى لم يكن سوى المخرج، من نجمة الفيلم وراح يلطخها، وعلمت فى هذا اليوم أن الجمال يتعارض مع الفن .

أحب قصتى لأنها تشبه الكعكة ، قملة تخر عاشقة لمخلوقة أحلامها ، إنها حكاية ساحرة مثل الكاريكاتور، للأحسن أو للأسوأ . مهما كانت أو ستكون؟

هى كما نرى ، ممثلة ، ما نسميه، بشكل عام، التوافقات ، أزميرالدا امرأة بوهيمية وينعكس هذا فى كل ماتفعله، إنها ممثلة.

فى الحقيقة ، فالفتاة التى تقع صريعة الهوى تصبح على التو كما تشاء، سواء كانت ممثلة أم لا . سواء شاركتك عواطفك أم لا. حتى لو لم تبادلك المشاعر ألف مرة .

هذه الحالة الأخيرة نادرة . ومطلقة. لقد عشتها طويلا لدرجة أن ذكائى اسكت جنونى . لقد عرفت لذة الحب المتقشف : أن تكون مشاهدا غير مشكوك فيه لمثلتى التى ليست لديها نفس موهبتى . رأيتها تمثل علىّ أفضل أدوار حياتها، انها تلهم الحب للأبدية جمعاء.

لاشىء يصل إلى مداه عدا التقشف . إذا لم أبرهن على الحاجة الأكثر بدائية، حاجة الإنسان للكلام، فليست هناك أى مشكلة.

لقد رأتنى شهيدا للقبح ، ورأيتها شهيدة للفن : ومن هنا خُلقت الروابط بيننا. سألها المخرج الذى لاحظ وجودى لتوه : ماذا يفعل هذا هنا؟

أجابت أيتل بتحد : قدم نفسه للريجسير ، وصفعه جيرار القذر.
– ألم يأخذه ؟ خسارة.. أراه مناسبا فى دور المومياء المحنطة .
– هل هذا مايهمك فى هذا العمل ، وماذا لو كسر له وجهه ، هل ترى هذا أمرا عاديا؟

إنهما يتكلمان عنى ، تحت مرمى بصرى ، عن شخص ثالث . إنه يمارس وقاحته فيما يخصنى : فمظهرى يجعلنى أحس أننى شخص ثالث غير الذى يتحدثان عنه.
– هل يريد هذا الشىء أن يعمل فى السينما؟
– اسأله .
– هل تريد حقاً أن تمثل فى فيلمى؟
– لا
– لماذا جئت إذا؟
– لأرى.
– حسنا ، ليس ورائى سوى هذا . سوف نرى.

وذهبا، شعرت بالغضب إنه لم يلح طويلاً : فدورى كضحية عجيبة سرعان ما تجاوزنى بسرعة.

تتبعتهما إلى البلاتوه ، لم أتأخر عن تهنئة نفسى بالرفض: من يعتقد أن السينما عمل مهين إلى هذا الحد ؟ وطوال ساعتين لم أسمع سوى كلمة (إقطع ..!) ليس من أجل المرور من مشهد لآخر، ولكن من أجل إعادة التمثيل فى كل مشهد من القصة ..

انه أمر ممل ، لقد وجد المخرج، واسمه بيير ، فى كل مشهد أخطاء يبدو وحده كأنه يفهمها:

– إنه هارب!

أو :

– إنه كثير الألياف .

أو أيضاً عندما يفتقد الإلهام:

– لاشيء .

كان فريق العمل يائساً . وكنت متحمساً . وشكل الاستوديو ساحة امتلأت بالظلال المرسومة وجثث فى مكان المشاهدين . كان على ايتل أن تلعب الدور الرئيسى ، دور ثور فحل مجنون يهاجم المصارع ويعبر عن نفسه بأن يثقب بطنه بقرنيه.

علقت على هذه الفكرة الرائعة ، والثرية المعنى : «كل إنسان يقتل من يحب». التى كتبها أوسكار وايلد، أحد سادتى المقدسين ، انتظرت اللحظة التى سأرى فيها الغرس الجميل . القرنان للأمام ، ناحية ما أريد أن أكون وأصير ، وأن أرفعها من فوق الأرض، وأحملها فوق رأسى وأنا أعدو،، أملا أن تنسال دماء الضحية على وجه الثور البرى الذى يمد لسانه لكى يلعقها.

لم يشاركنى المخرج، بشكل واضح ، أيا من وجهات نظرى الجمالية، القيت نظرة على السيناريو الذى يدور حولى ، أعتقد أنه محضر استدعاء يخص نقابة البيطريين .

أحسست أننى غبى ، وأننى يجب أن أبلغ بيير بأفكارى، وسط فقرتين نظر إلىّ من الرأس للقدم وأستأنف عمله دون أن ينطق بكلمة.

وطوال ساعتين من العمل أحسست أننى جنين واحد فى القداس: يفتح وحش الباب للثور البالغ الهياج ، ويدخله الحلبة ، والحبكة التى يجب أن تستمر أربع ثوان، لم تكن الأكثر أهمية فى الفيلم ، والتى

نحكم عليها بسطحية. لم يفهم أحد لماذا يجب على الطاغية أن يبدأ من جديد.

لم أشك قط فى طبيعية ايتل الانجيلية، فلم يعكس وجهها أدنى شك من الثورة أو نفاد الصبر . لم يكن هناك سوى شخص فى هذا المكان يكاد أن يفقد أعصابه : هى .

وانتهى الأمر بأن راح المخرج يهدىء من روعها:

– ياللأبله ! ليس من المجد أن نحتج ، أنتم لاشىء اليوم.

اعتقدت أن الجميع سوف يفترسونه ، لكننى كنت مخدوعا : فموقفه البشع قد جلب له المزيد من الوقار . «ياله من فنان» ! كما سمعتهم يهمسون.

قالت الممثلة الأولى لمرجريت التى وضعت لها المكياج :

– ياله من غبى!! .

وانطلقتا تضحكان .

تدخلت قائلاً : إذا كان هذا رأيكما . فلماذا تعملان معه؟

– ألا زلت هنا ؟

– لقد حضرت التصوير . ألم تعطه موعدا!

هزت كتفيها :

العقد هو العقد ، ولدىّ مفهومى فيما أسلكه .

– فى البداية ، لماذا وافقتما؟

أعجبنى الملخص . شغفت بفكرة تمثيل دور ثور ، هذا يغرينى عن الأدوار السخيفة للنساء المعاصرات . بيير مخرج محترم فى مجاله . ولا انتظر سوى الوقوع فى أسر إحدى شخصياته .

وباركت مجدداً هذا الذى كسر لى فكى، فبدونه فإن المرأتين لم تكونا

لتسألانى لماذا لا أتركهما . وموقفى كضحية لجلادهما كان بالنسبة لى أمرا بالغ السحر.

وودت أن أكون على هذه الشاكلة . فمنذ عام. أصابنى ألم . حدث لى أكثر من شىء فى السنوات الأخيرة أكثر من التسعة عشر عاماً التى عشتها مسبقا من حياتى أتذكر أننى قلت هذا:

– وجهك به مسوح عجيبة : غط أولا حمرة مرجريت ثم تلطيخات المخرج. فالمكياج عمل أشبه بالتنقيب عن الآثار .

– أى بلاغة ، وأى حساسية ، اعتدنا على هذا دوما.

اليوم . أفكر أنها تسخر منى، ولكن فى حالة السكر التى كنت عليها . آمنت بكلماتها . لقد ساعدتنى ، لم يكلمنى أحد بمثل هذه الرقة طوال حياتى، وكأن هذا القبح لم يكن رفيقا لى منذ ميلادى.

فى يومياته الخاصة ، أشار بودلير أن «اللذة الوحيدة والقصوى للحب تتمثل فى اليقين بممارسة الشر»، اعتبرت هذه الجملة دوماً أشبه بنظرية مهمة تخصنى أقل من الطبيعة أو كافة القارات.

لم أتخيل قط لحظة أستطيع فيها أن أقع فى الحب ، ولم أفكر فى هذا أبداً فهذا أمر غير مطروح منذ بداية تاريخ الأنفاس ، ان القبحاء ليست لهم مكانة فى هذه اللعبة؟

أمسية لقائى مع ايتل أعادت مقولة بودلير لى الأمل للمرة الأولى، تساءلت إن كان الأمر يتعلق برغبة خفية عميقة. لذا وضعت فى حسبانى أمرا مفاجئا إننى لم تكن لدىّ أدنى فكرة عما أرغب فيه، تنقصنى سنوات من التأهيل العقلى . السنوات التى يخصصها

المراهقون للتجربة ، وممارسة أفكارهم المثـــالية بشكل مادى مثـــالى، وفى ألعاب عديدة .

كانت نسختى بكرا، فى الحقيقة ، فان القبح حفظنى فى ثلاجة باردة تماما، ويجب أن أبتدع كل شىء . لم أكن قد بلغت سوى التاسعة عشرة، وكأننى فى الحادية عشرة.

وبدأت العمل فى إطار التبشير، ونصحت بالعديد من النصائح:

الموسوعة ، عضوى الذكرى ، الماركيز دو صاد، والقاموس الطبى، ورواية «ديربارم»، لستاندال ، وأفلام الجنس، وتقويم الأسنان، وجيروم بوش، بيير لويس، والإعلانات الصغيرة، وخطوط يدى.

وحددت المعركة : «الإباحية أو إقرار الحياة حتى الموت»، يجب أن نأخذ الحقيقة منها، لكن ماذا؟ حاولت أن أكشف كل هذا بالكتابة مثلما فى علوم الرياضة، وكانت النتيجة بالغة المهابة.

لأن مثل هـذه الممارسات لم تكن تعنينى. فقد قررت أن أغوص فى أعماق ذكرياتى، وأن أتمدد فـوق الأرض، وقد شكلت ذراعاى وساقى مايشبه الصليب. العينان منغلقتان وأنا أشرد بنفسى. وتصبح رموشى أشبه بشاشة سينما تعرض صورا بالغة السخافة أحاول أن أقطعها بالتجربة الحالية.

توصلت فى تفكيرى أن الإباحية ضرورة أساسية. فلا رغبة بدون ذروة ، وأى نشوة أكثر جاذبية من المذاق الجميل؟

استكملت مشاهدة فيلمى الداخلى شيئاً فشيئاً . أحسست أننى أعرف المناظر، ورأيت سكان روما يلعبون السيرك، والمسيحيين الأوائل يتم إلقائهم إلى الأسود، وصار لدّى اليقين أننى أستخلص هذه الدوافع من بعض نجوم

هوليوود التافهين وقد خلقتها بنفس جميلة ، متى؟ لعله منذ زمن طويل : فالألوان لها قوة الطفولة.

وتضاربت الأفكار فى داخلى مثلى الكرباج، كنت فى الحادية عشرة، راقدا فوق فراشى، ورأيت (كوفاديس)؟ فيلم ضخم الإنتاج ، كان رائعاً. كانت هناك الشابة الجميلة ليجى. الأميرة المسيحية التى بيعت إلى شاب جميل، ووسيم، لكنه رومانى قبيح وغبى، أرادها آمة له . لكن هذا اللاتينى الأحمق جُن بهذه العذراء وفضل أن يغزو قلبها على أن يغتصبها، إنه يردد دون أن يأخذ فى الحسبان السمات الطبيعية للمسيحية العذراء «التبشير»، هكذا أسماها الغبى الرومانى: «سوف أكون لك لو أمنت بدينى» .

وهكذا كانت لنيرون قصته الخيالية، لقد أحرق روما كى يكتب قصيدة ، ثم عامل المسيحيين كمذنبين، أعدمهم فى مجاميع من أجل إثارة الفرح فى قلوب الشعب، كان لديه حسه السياسى.

وبعد صفحات وصفحات من الصلب وولائم الأسود، حان مشهد الذروة فنيرون، هذا المستمع الماهر ، احتفظ بأفضل شىء فى النهاية، ثور بالغ الغضب ينطلق إلى الحلبة وقد ركبت الحسناء ليجىء فوق ظهره، وهى عارية، بشعرها الطويل، فكرة رائعة أن نرمى لثور مسعور، بأميرة مسيحية جميلة، عذراء حتى أطراف أسنانها .

كانت الحبال التى ربطوها بالحيوان غير محكمة القيد ، من النوع الذى يمكن الفكاك منه بجسدها كى تتحرر وتتخلص منها، من أجل أن يفعل بها الثور ما اعتاد عليه أكثر وهى عارية.

استمتعت بفكرة ماسوف يحدث، ففى هذه اللحظة، فان الكاتب البولندى الصعب النطق باسمه، قد أعلى المشهد الأكثر حبكة فى قصته المرعبة: فانسيوس العاشق الرومانى الأحمق يقفز إلى الحلبة، ولا يسمع سوى

صوت شجاعته التى فقدها طوال صمته . وراح يهيىء نفسه للثور البرى وكان يتصرف ككلب كانيش لإنقاذ ليجىء خلف الجماهير بعد أن اعتنق المسيحية.

القيت الكتاب البائس أرضا . ووسط يأس بالغ، غمست رأسى أسفل الوسادة.

وحدثت المعجزة . ألغت عبقرية الطفولة هذه التعميد الأحمق، وحولتنى إلى ثور غاضب يجول فى الحلبة .

ليجى عارية فوق ظهرى، أحس بمؤخرتها العذروية وجسدها الملائكى أصابنى هذا التواصل بالجنون، وشرعت فى الانطلاق والقفز، والجرى بقوة الحركة، استدار جسد ليجى ٩٠ درجة، والتصق صدرها الناهد بعظام كتفى، كان بطنها وعضوها منفرجين فوق ظهرى الدامى. أنا ثور برى وقد مزق كل هذا رأسى وأنا متعب. قررت أن هذا المخلوق سوف يسقط منى.

لست سوى وثبة وقفزة، ارتجفت، فانفكت الحبال. ووقفت ليجى فوق الأرض وأمسكت بقدمى، فرحت أعدو وأنا اجرها فوق الأرض كالجثة التى ستصير عليها بعد قليل، وكشفت ساقاها المنفرجتين للجمهور عذرية لم تدم طويلا، تعانى الأميرة من هذه البذاءة. كنت سعيدا . هل أصابك أذى ياليجى؟ حسنا، لا يكاد هذا يذكر بما ينتظرك، سيعلمك هذا كيف تكونى مسيحية عذراء عارية ، فى رواية بولندية يقرأها المراهقون .

وفى هذه الفظاظة الرياضة ، توصلت إلى أن أخلص الفتاة منى، التى تتعرض لاغتصاب متعمد، وانهرت على مسافة عشرة أمتار بعيدا عنها ، توقفت أنفاس شعب روما، واقتربت من ضحيتى، وتأملت مؤخرتها الجميلة، وأدرتها بعجيزتى، وأحببت الخوف الذى ينسكب من عينيها الجميلتين، وعبدت ارتجافات نهدها الذى لم يمسه أحد .

الأمر الأكثر جسامة، هو ان ليجى التى يتعاطف معها . ويتفق معها كل الناس إلى هذا الحد ، ستكون المصلحة أن يغرس هذا الثور الغاضب قرنيه فى هذه الشابة المسيحية العذراء.

سوف يشعرك هذا بالمهانة ان تخطب هذا الختان المثالى الذى حظى بعنايتك، تخيل تفاهة غشاء البكارة الضارب للبياض، والاستقامة الضخمة لوجهها عندما تمسك بك؟

لا ، أنت لست لها، انت رائع لكل هذا . أنت، بالنسبة لى، لاتعلم شيئاً . لقد فعلت ذلك عن عمد: لماذا تحظين بكل هذا القدر من العناية والحظوة، إذا لم يتتابع هذا؟ هناك قانون فى العالم . كل ماهو بالغ النقاء يجب أن يتلوث ، وكل ماهو مقدس يجب أن يدنس، ضع نفسك فى مكان المدنس: أى مصلحة ينالها وهو يلوث ماليس مقدسا، لقد فكرت بالتأكيد ان تحتفظ بنفسك ناصع البياض.

لم يعد هناك المزيد من العذروات المسيحيات الشهيدات ، لم يعد هناك أكثر من الملحدين فى مواجهة ثور غاضب ، ولهذا السبب فالشعب بالغ السعادة. سوف ينال منه، ليس بسبب أمواله، فالعرض مجانى، ولكن من أجل حقده، والنزوع الطبيعى لكراهية الزنابق والسلامندر.

وحسب هوميروس، فان جبهة الثور هى نموذج للحماقة ، انه على حق، أحب أن أكون ثورا بريا لأننى أحب أن أكون حيواناً . وهذا فى الواقع سر غبائى الذى تراه فى الكثير من الفرحة: وكأننى الثعلب المحتال، لن يقدموا لىّ قط هدية مثلك وكما ترين فمن الأفضل أن أكون حيوانا .

لم يعد هناك وقت للخوف ولكن وقت للشر ، غرست قرنى فى بطنك الناعمة، انه إحساس ساحر، وعندما تنغرس المخالب فيك، فاننى أهزك أسفل رأسى، ويصرخ الناس وأنت تصرخين، أنا اليوم بطل. وأنا أستعرض معك مثل من يقوم بتغطية إطلاق النار: على يسارى ساقاك ، وعلى يمينى ذراعاك ووجهك الغافل وشعرك الذى يلمس الأرض . فخوراً تماماً بنفسى، أقوم بدورة حول أرض الملعب نتلقى تصفيق الجمهور، هذه الأمور المسلية لاترضى سكرتى، أمر من الأمور الجادة، قرناى ينغرسان فيك، ولكنهما لايخترقانك، تلهث أنفاسى وأنا أحس أنك تنغرسين فىّ . وفى كل مرة أسقط فيها أرضا، أحس أننى بعيد عنك، وأخيراً يحدث ما يجب أن يحدث : تكسير، لقد اخترق قرناى بطنك ، وبرزتا من ظهرك ومن صلبك، وبدا أحدهما منطلقاً يراه الناس ويحيوننى على أحسن ما تكون التحية فتنتابنى السعادة.

رحت ألف فى المكان كمجنون ، معلنا عن انتصارى، وراح دمك ينسال فوق جبهتى وعنقى، ووصل إلى منخارى ، فأثارتنى رائحته. وانسال حتى فمى، فعلقته، بدا مذاقه أشبه بالنبيذ الجديد، فأسكرنى، وسمعتك تتأوهين، مما أسعدنى.

وبقوة الإيماء، غطى وشاح أبيض عينّى . انه دمك يعمينى. فم أعد أرى شيئاً، مما زادنى ثورة. وجريت دون أن أعرف إلى أين أتجه ، ونطحت جدار الحلبة مرات عديدة، قد يسبب لك هذا ألما، انها الحرب اليائسة. وثبتت رأسى فى الأرض، فسقطت فوق قرنى الطويلين، وجفف جلدك عينى فعاد لى النظر.

رقدت فوق الأرض ، تنفست ، وتأملت بطنك المثقوبة بقرنى، رائع : عبر

وجهك عن مشاعر الامتنان، تكادين أن تسمعى : أعرف أنك تحبين ذلك. ليجى يافتاتى، الآن انت لىّ فعلا .

ولأنك لى، فسأفعل بك ما أشاء، لقد شربت الدماء الدافئة من بطنك مؤكدا ان الثيران تكف عن التوحش أمام العذروات.

وأمام هتاف شعب روما، حملتك حتى صار وجهك غير مألوف ، انه الجنون اللذيذ، وتركت وجهك الذى ظل محتفظا بمشاعره الصافية . لأن مايهمنى هو كيف تحمى روحك بنفسك، هؤلاء الماديون الشجعان غير مصابين بالسادية. انها موجودة لدى الروحانيين الكبار من طرازى. حيث تلزمنا الروح لنصرة الجلادين.

كانت اللوحة رائعة ، هذا هو جسدك الناضج، الأشبه بثمرة نضجت لتوها، وفوق هذه الفاكهة صوت جميل ، ووجهك فى قمة سعادته ، تشرب عيناك من السماء ، أو على الأقل ليس الأمر عكس ذلك . لم تكونى أبداً جميلة هكذا وأنا أطرق على هيكلك العظمى بحذائى الخفيف، فأخرجت كافة روائعك إلى رأسك ، وكأنها تسرى فى أنبوب طويل.

وهكذا ، بفضلى، أصبحت مثالية، ووضعت أذنى كثور على مقربة من فمك، ولمست مؤخرتك المترجرجة ، وسمعتك تلهثين لهاثاً أجمل من موسيقى الحجرات. وفى نفس اللحظة ، فإننا ، أنا وأنت ، رحنا نموت من المتعة.

«من يمارس الملائكية يمارس الحيوانية»، أنا أمارس الحيوانية، مثلما عرفت لذة الملائكية ورغم هذا، وأنا فى الحادية عشرة، سحبت المنبه الذى كسرته فوق رأسى وقمت شاعرا باللذة، يبدو أن مخى أشبه بعمارة أنهارت على أثر أنفجار نووى تمتعت بقوة أننى صرت جميلا، أؤكد لك ان هذا الشعور صار ماثلا أمامى فى المرآة .

نظرت إلى انعكاس صورتى، وانفجرت ضاحكا . فأنا لم أكن قط بمثل هذا القبح، فيلومونني عن جمال كوزيمودو.

عدت من جديد إلى سن التاسعة والعشرين، ووضعت فى الحسبان أن طفولتى لعبت دورا فى سنوات المراهقة: فى الثالثة عشرة، وضعت عضوى فى الصندرة ولم تعد له أى أهمية، لماذا ؟ لا أعرف، فطبيعتى لعبت دورا أساسياً فى هذا المنع .

انه أمر سهل وصعب الفهم. لم أعرف بؤس البشر البشعين الذين تنتابهم الرغبة الجنسية . ينامون مع نساء دميمات أو يذهبون إلى بيوت العاهرات.

المشكلة معى، أننى منذ شبابى الأول عرفت الجاذبية المطلقة للجمال النقى ولهذا تخيلت فى الثامنة عشرة عن عضوى، وهبط الصفاء فوقى بشكل مريع، ومع العذروات الملائكيات ، لم يكن لدى أى حظ.

فى السادسة عشرة ، هجم حب الشباب على جلدى ليؤكد نظريتى: فصرت نفاية الخلق ، ثم راح جلدى يتساقط، ودخلت فى مرحلة ساخرة من القبح، صارت أكثر سخفا من أن تثير الاحترام .

ومنذ ذلك الحين ، لم يعد الجنس يعبر لى سوى عن نوعين من النشاط، الاستنماء والذعر. يبدو الاستنماء أشبه بانسكاب عدمى، ومعتم لشخصيتى، على العكس، عندما أكون فى حاجة إلى المشاعر الإباحية الأكثر ألفة ، فأننى أتجول فى الشارع ، وأتأمل ردود أفعال الناس الذين يروننى أعرض لهم كافة ملامح القبح. وأجعل منه لغة، وتمنحنى نظرات المشمئزين من المارة وهم الاتصال غير المتوازن لملامستى.

وما اشتهيته أكثر، هو ارعاب البنات الجميلات، فأغلبهن ينظر إلى الانعكاس الواضح لصورتى فى واجهات المحلات .

البعض يفضل ان تعجبهم صورتهم فى عيون الآخرين، ومع هؤلاء الذين عشت لحظات عظيمة . تبدو نظراتهم الشاردة دلالة على صدمتهم، وأبذل قصارى جهدى عندما تبدو لهم الفضيحة فى المرآة. كم أحب هذا.

صارت حيرتى بلا حدود، منذ عام ، عندما نظرت إلى ايتل بنظرات ودودة، وتعبر عن الرفض الذى ألفته، بدت كأنها لم تلحظ الكارثة التى أمثلها .

لم تكن سوى قمة من أحببت. لأن الجمال لم يلفت نظرى حتى الآن، ولكن ماحدث أضاف معجزة الإبصار للأعمى، مما جعلنى مجنونا بها إلى أقصى حد.

تيقظت أعضائى الطفولية وانتهت بفقدانى العقل : الثور الذى رفضت ايتل أن تمثله فى السينما هو بلاشك نموذج لمصيرنا المشترك.

من السهل علىّ أن أكسب محبة الممثلة. فلا شىء يبدو لها غريبا، لا مظهرى ولا حضورى البشع فى البلاتوهات ، ولا الاسئلة التى اطرحها عليها . كان عليها أثناء ذلك أن تهتم بغموضى.

– هل انت عاشقة الآن؟

– لا .

– لماذا ؟

– لم يلفت أحد أنظارى.

– هل تفتقدين هذا؟

– لا ، فالحب ملل .

تأسفت لهذا البوح الذى سرعان ما أحبطنى، وهو أساس مهنة التمثيل.

– هل أصابك الملل من البشر، فى الماضى؟

– كثيرا.. وعندما لا أصاب بالملل منهم، أحس بالسأم، ولس هذا أفضل.

قلت بصوت مقزز: فى الواقع فإننى لم أعرف الملل قط، ولا السأم اللذين تتكلمين عنهما .

– وهل أنت عاشق؟

لم يكن لديها أى شعور بتأثيرها علىّ، وكأنها تسأل إحدى الرباعى إن كان يرقص التانجو.

– أحببت بشكل مختلف، فى الواقع، فإن كل شىء يسير راكدا.. مثلك ..

يومها لم أمنع نفسى أن أطرح عليها السؤال الذى يؤثرنى

– لماذا أنت لطيفة معى؟

قالت بكل صفاء: لأننى فتاة لطيفة.

انها الحقيقة، وهذا لا يحدث بالمرة معى. كيف نمتلك أقل قدر من الطيبة، وكيف نكون مستفزين؟ أكلمها دوما عن أشياء لا تهمنى بالمرة. هدف اللعبة هو أن انظر اليها، وهو أمر يشغلنى بكل ما عرفته، طوال حياتى، من شهوة.

الشىء الأكثر عمقا فى هذا اللطف هو أنها تتركنى أتأمل، وبكل بساطة، وهذا أمر بالغ الكرم من طرفها .

– أنت جميلة! (لم يمكننى أن أمسك نفسى أن أردد هذا من وقت لآخر).

تبتسم، وكأن هذا يسعدها .

ويخلبنى رد الفعل هذا بكل قوة، وأعتقد أننى استطعت ان اقوله للعديد من الجميلات. اللواتى يستحققن ان التفت اليهن، فلا ارتاح لرؤيتهن، فأسمع منهن تعليقات رائعة مثل : «انه وغد. هذا الشاب!..

جاءت واحدة منهن تزجرنى وسألت :

– أخيرا، أكلمك بكل أدب، دون أدنى رغبة أو أفكار مسبقة، لماذا تهاجمينى؟

– كيف عرفت هذا؟

– ألأننى قبيح؟ أى قبح يمنعنى أن أكون ذواقا؟

– لا . ليس لأنك دميم.

– لماذا إذن؟ .

– أن تقول لامرأة انها حلوة، هو أمر غبى .

ظللت فاتر الفهم لحظة . قبل أن أرد :

– إذن، فأنت امرأة حمقاء . وأنا أعلن لك ذلك .

وصفعتنى .

وأنفتحت على ايتل :

– عاملتك كأمرأة جميلة، هل تعاملينى بحماقة؟

– لا ، لماذا ؟

حكيت لها كيف استقبلت الأخريات مدحى لهن، فضحكت معلقة:

– أنت تعرف، لسن وحدهن الغبيات. اسمع ، طوال الوقت، البنات الفاقدات الحظوة يرددن: « لا يكفى أن تكون الفتاة حلوة!».. أو أننى لم أتصرف دائما مثلما يكفى لأكون جميلة

– «يتصرفن وكأن لديهن ما يكفى من القبح!» .

– فعلا، لكن الأمر أكثر خطورة من هذه الحقيقة. فالجمال ليس محبوبا.

– أنا أحب الجمال .

– أنا ، شيء خاص .

– كل الناس تحب الجمال.

– أؤكد لك أن هذا غير صحيح .

وبدأت أشعر بالعصبية .

– لن تقولى لى مع ذلك انك تفضلين أن تكونى دميمة .

– اهدأ، لا، لا أقول هذا. من الصعب أن تفهم ، هذا أمر يصعب شرحه، أقسم لك إننى عشت مائة حالة تثبت لى ذلك. الجمال ليس محبوبا .

سألت فى غضب :

– والدمامة، هل تعتقدين انها محبوبة؟

– لم اقل هذا . لا ، أعتقد ان الناس يحبون ألا يكون بالغى الجمال ولا الدمامة.

لم أستطع حضور تصوير الفيلم، فهو أمر يصيبنى بالعصبية، اما إيتل المسكينة فقد تبدلت ملامحها من هذا المخرج الغبى الذى أوصى بتزيين المصارع بالظهوْر فوق قرنيه عندما يجب عليه ان ينفذ بسيفه لا. انه اكثر مما استطيع تحمله .

ذات يوم بحثت عن الممثلة الأولى وهى تخرج من الاستوديو وكعادتها استقبلتنى بابتسامة :

– ابيفان .. أنت هنا .

تبدو مبهرة، وأنا يكاد يغمى علىّ من الفرح، فأصحبها لتناول كأس، وتحكى لى الأخبار النفسية لبيير، وتطورات الفيلم الروائى، وتختتم الأمر

دوما بعبارتها :

– هذه هى تفاهة القصة السينمائية .

وفى الثامنة مساء، اصطحبها الى منزلها. أردت أن أبقى معها لأطول وقت ممكن، لكننى لم أكن أسعى لاغوائها :

– هل تعرفين أن أحداً لم ينادنى ابيفان قبلك؟

– ماذا كانوا يسمونك؟

– كوزيمودو .

– لماذا؟ هل أنت أحدب؟ هل أنت مقوس الظهر ؟

– لا ، أنا دميم .

وتضحك بكل صفاء مما يسعدنى، وهى لا تنكر ذلك بغباء : «لا، أنت لست دميما» مما يجعلنى أحس كأننى بلغت السقف، وتقول :

– أحب اسمك، انه يشبهك .

– هل هو دميم أيضا ؟

– لا ، إنه غريب .

– هل أنا غريب، فيم أنا غريب ؟

وتأخذ وقتا قبل أن ترد :

– أنت لم تقل قط أشياء جارحة أو حمقاء .

– هل هذا غريب ؟

– هذا غريب .

وددت لو قبلت قدميها، فلم يقل لى أحد كلاماً أعجبنى هكذا من قبل. وفى الليل، فى فراشى. لاحظت اننى لا أكف عن تكرار حبات هذا الحديث . مثل أنغام الموسيقى التى أحبها، فإننى أبرمها فى جدائل .

قال بودلير : «الجميل دائما غريب»، بالتأكيد، فالعقل لم يفرض عليّ أن أبدل التجربة : فما هو غريب ليس دائما جميلا . لقد شاركت فى اختبار إدراكات جمال العالم، وفى معرفة الغرابة، وهى اشياء تدفعنى إلى قمة الأصالة.

وصارت أول سهاد لدخول بوابتى الى الحب .

فى هذه الحقبة. انتهيت من تبذير ميراثى اليونانى، كان لدىّ عم، لم يكن يونانيا أكثر منى ومنك، استطاع أن يجمع ثروة كبيرة من أعماله اليونانية الغامضة . وعندما مات ، انهالت زكائب الدراخما فوق رأسى. وصار لدى الحق أن أصرفها واصابتنى اللامبالاة لعدة اشهر .

وعندما استلمت هذا المال غير المتوقع، فان اول شىء طرأ على بالى هو أن اجرى جراحة تجميل، حتى لو فقدت كل الاموال فى ضربة واحدة، بالتأكيد، تكفينى نظرة سريعة إلى المرآة لفهم كيف لم يكن هذا رائعا .

ردد فرجيلوس : الزمن فان والمرأة خصبة. يجب ان نعرف الأصل اليونانى لهذه العبارة المأثورة التى جعلتها مشبوهة. فبلاشك كان لديه المكان لأن يرىَ فيها تحذيراً من الهة الاوليمب .

تأملت نفسى عاريا فى المرآة الكبرى. لم تكن المشكلة واضحة تماما. لم يكن هناك شىء يجب أن يتغير. وجه عادى عند طرف هذا الجسد المتوحش الذى حل محله، يبدو مبالغا فى تأثيره بشكل مضاعف فى شكل هوية عقلانية، ايقاع جسمانى، جعل وجهى، أيضا قذرا، ودمامتى فى اقصى حالاتها. موزعة بشكل من التوازن .

باختصار، هذه العملية كان يجب أن تكون شاملة أو لا تكون. ليس من اللائق أن نكره انفسنا من الرأس حتى أخمص القدم. نتردد قبل أن نخرج من هذا الاطار الداخلى. لقد اعتدت، رغم ذلك، على بشرتى طوال عشرين عاما. حيث خلق هذا علاقة ما بينه وبين نفسى. واذا لم يعد معى، فإننى أفقد جذورى. هل يمكن اعتبار هذا الجسد شيئا منى؟ ام أن اخفاء اقل الانطباعات لا تتلائم مع موتى؟

لم أر السؤال عملا اخلاقيا ولكنه من ضرب الخيال، الى أى درجة من المسخ يبقى الانسان فى ذاته؟ اليقين الوحيد الذى يجد المرء نفسه هو مواجهته مع الموت، هو اختفاء الغلاف الجسدى. مهما كانت المباضع او الديدان الصغيرة التى تثقل علينا ولا تتغير فى شىء .

انها مخاطرة مقدسة، وضعت سؤالا فى الحسبان، اننى منذ اليوم التالى للعملية، أو اليوم الذى تخلصت فيه من جسدى، هل قمت باغتيال ابفيان أوتوس؟ الروحانى الذى انتميت اليه لدرجة اننى خشيت مواجهة تجربة الوضوح تتعلق بتفوق المادة على الروح .

فى هذه المفاهيم الكونية، اضيفت اعتبارات مبتذلة. فقد كانت لدىّ عاداتى، كانت دماماتى اشبه بزوج من الصندل، ولهذا السبب البسيط والفريد كانت نفسى كالأحذية فى الأقدام، حتى لو اصابها التلوث، لأنها الأفضل بالطبع.

هناك توقفت عملية المسخ الاسكافى، لأنه قد يمكننى أن احتفظ بالحذاء الضخم القديم وانا أخفيه فى أعماق دولاب، لكن لا يمكن الاحتفاظ بمظهرنا القديم فى الزبالة. وماذا لو وجدت روحى أحذيتها السيئة حتى الموت؟.

من ناحية أخرى، هناك اشياء ما ، من القدرية، تمسك بى، فى داخلى

على الأقل فيما يخص الكسل المقنع. انه أقرب الى الارهاق اكثر منه الى الانطلاق هذا القرف هو مصيرى، انه مصير محتوم: يجب ان نخضع لارادة الالهة طالما اننا لن نهرب بأى صورة. بينما اهز كتفى المرعبتين واعيش فى لامبالاة .

وهكذا تخلصت من العملية البلاستيكية ، لم يعرف الجراح المسكين اذا كانت روحى قد ضاعت. لم اندم على هذا القرار ، فالظروف الاقتصادية سمحت لى الا اعمل لسنوات .

ذات يوم سألتنى ايتل عن وظيفتى. ودون اى تفكير أجبت اننى أبحث عن عمل، وفيما بعد ، لاحظت اننى ابتعدت كثيرا عن ميراثى ، واننى فى حاجة الى عمل .

اى عمل؟ تلك هى المسألة . فأنا لا أمتلك أى قدرات ولا أى مميزات، او مواهب، ولم أعرف أى نوع من الطموح سوى الحب، لست ممن يحتاجون الى وظيفة لأكون متوازنا : فالفراغ يجعلنى مثل القفاز .

منذ المدرسة ، قمت بجولات سياحية لا أعرف عنها شيئا، أنا لا أكذب ولا أفهم عم كان يتكلم المدرسون، الأكثر مهابة، وماهى عناوين المؤتمرات؟ لدىّ احساس اننى اسمع نفس النبرات. معرفة مختلفة بدت لى ايضا مشوبة تثير الملل: شعرت بالرجفة مثلما يرتجف البعض من الغرق فى الماء .

ثم جاء ميراث عمى: فسكنت فى حالة من السبات العجيب، واصبحت القراءة والسينما اشياء اساسية لتمضية الوقت. اذ كان علّى أن اتفحص بطاقة هويتى التى تحمل أبرز البيانات المدونة كالتالى :

ابيفان اوتوس

مولود فى ١٩٦٧ .

الخبرة : القراءة ، الصالات المظلمة .

لم يشك أحد أن الموظفين سيرتمون علىّ، خاصة عندما سيرون شكلى.

كنت محظوظا: فالعصر مصنوع للطيبين من أمثالى، والحاصلين على الشهادات يخافون ، والمجتهدون الذين يلمون خبراتهم المهنية غير مرغوب فيهم. انا لدى حصيلة جامعية بكر وغياب سالف فى مجال العمل : ولديهم الحق فى ان يدفعوا لى من جانب خفى .

فى الحقيقة ، فان كل الابواب كانت ستنفتح امامى لو لم أكن دميما .

انه التوافق المهنى فى مجتمع رأسمالى ضخم. فالوظيفة التى تقدمت لها هى توزيع المراسلات. ينحصر الأمر ان اجرى عبر البناية من اسفلها الى اعلاها، ومن طولها الى عرضها حاملا حقيبة الرسائل كى اسلمها الى كل صاحب الحق فى ذلك . كنت الوحيد الذى عليه أن يقبل تقديم خدماته فى هذا العمل النبيل البراق. ومع ذلك رفضونى .

جرؤت ان اسأل لماذا لم يريدونى . وكانت الاجابة :

– نعتقد انك غير كفء للوظيفة .

– هذه وظيفة لا تحتاج كفاءة .

– لا يمكن أن نسمح لأنفسنا أن نوظف شخصا لا يملأ مركزه .

– هل تعتقدون اننى لن املأه ؟

صمت مربك، وجد أحدهم مايقوله:

– أنت فى التاسعة والعشرين وليست لديك أية خبرة مهنية .

– هذا أفضل بالنسبة لكم. يمكنكم ان تدفعوا لى أقل .

– ليست هذه هى المسألة. هل يبدو لك هذا امرا عاديا ان شخصاً فى

مثل سنك، لم يسبق له العمل؟

لم أشأ الحديث عن الميراث .

– كنت اهتم بأمر جدتى (كذبة : لقد ماتت قبل عشر سنوات) ماهى المشكلة؟

– من المؤكد انه سيكون امرا بالغ الصعوبة أن تشكل شخصاً كان عليه ان يبدأ فى سن مبكرة .

وانفجرت ضاحكا .

– عن اى تشكيل تتكلم؟ هل يتعلق بتوزيع الرسائل؟

– لماذا تريد هذه الوظيفة ياسيد آتوس؟

– لأننى يجب أن أكسب حياتى .

– يجب ان تفهم أننا لا يمكن أن نعين واحداً هدفه المعلن هو أن يكسب حياته . نحن فى حاجة لأشخاص لديهم أفكار مثالية .

– هل هناك مثالية فى توزيع الرسائل ؟

– لا داع للسخرية منا، ياسيد أتوس؟

– أنتم الذين تسخرون. ترفضون لى وظيفة بحجج مختلفة كهذه. أخبرونى إذن بالحقيقة!

سألنى أحدهم فى خبث :

– ماهى الحقيقة الفعلية حسبما ترى !

– الأمر غير مطروح ان امتلك انتقاد نفسى، اريد أن يشرح لى واحد منكم انتم الثلاثة، سبب الرفض .

صمت .

– هل تعرف وأنتم تقولون لا شىء، كم انتم شديدو القسوة؟ اذا لم

تجرءوا على تسمية مشكلتى ، قولوا كم هى جسيمة.

– عن أى مشكلة تتحدث ياسيد اوتوس؟

– اذا كنت تتظاهر أنك لا تراها، فالأمر جسيم .

صمت .

– دعونى أخمن. اذا رميتم بالكلمة. يمكننى الذهاب الى المحكمة. اليس كذلك؟ هل تصمتون لهذا السبب؟

– لا نفهم عم تتكلم ، ياسيد .

تخيلت الفضيحة: «المرشحون للوظيفة مرفوضون لاسباب تتعلق بدمامتهم».

– أنت الذى تقول هذا، نحن لم نقله .

قمت لاغادر المكان، وعند الخروج، استدرت راغبا فى ممارسة انتقام صغير :

– ألم يعن لك اسم «أوتوس» شيئا؟

– المصاعد؟

– نعم .

– هل انت من الأسرة؟ .

كذبت : نعم . غريبة، مصاعد بنايتكم من شركة أوتوس.

ابتسمت، وذهبت، آملا من كل قلبى فى المستقبل ألا يشتروا هذ المصاعد دون أن تنتابهم اى شفقة تقنية لاسم أسرتى المرموق .

وسرعان ما جاءتنى فكرة عبقرية. حالتى العضوية، وأنا ، لدينا حسابات

يجب تسويتها: هناك قنبلة من تسعة وعشرين عاما من حياتى . تلزمنى بعض الشروح.

وبدا مشروعى أكثر غرابة بضرورة الاستعانة بحبيبتى . عرضت عليها الأمر، قالت لى :

- أنت مجنون .

- ربما ، لكن ألا تجدين ان هذا اخلاقى؟

- هل الهدف أخلاقى، أم العثور على وظيفة؟

- الاثنان ليسا متوافقان الا فى وجهات نظرنا ، اذا لم تساعدينى فى هذا، فلن آخذ فرصة .

- هناك فتيات جميلات أخريات فوق الأرض .

- لماذا ترفضين؟

- أكره أوساط عروض الآزياء .

- سبب يدفعك للقبول أكثر .

وانتهى الأمر بالموافقة .

وبعد عدة أيام، كنت وأيتل جالسين فى صالة انتظار وكيل بروسليت . وحولنا تحاصرنا فتيات ذوات سيقان طويلة، ونظرات فارغة، وكان من الواضح ان فتاتى هى الاكثر جمالا . بدت فى عينى كأنها ترتدى قرون الثور التى هدهدت مشاعرى. كانت ابتساماتها تعطيها سحرا اكثر عن كافة الباقيات المنتظرات - اذا لم يكن هناك اختلاف اكثر مهابة: فهى الوحيدة الموجود هنا .

بروسليت هى وكالة لعارضات الازياء الأكثر شهرة فى العالم . وهى التى قدمت التصميمات الأكثر وجوداً فى كل الأنحاء .

فرانشيسكا فرنينكو، ميلباموموتار، انتيجون سبرنج، آمى ماكدونالدوفا، ليست هناك مدينة كبيرة فى العالم تتسم بالتحضر الا وأخذت من بروسليت، حتى بنات القرى الصغيرة يمكنهن ان يجربن حظوظهن، أو على الأقل أن يحلمن .

لم تكن النساء الجالسات حولنا فى صالة الانتظار، فى الحقيقة، فان ما ترك اثرا قويا فىّ هو انهن متشابهات: على الأقل هو تشابه عضوى اكثر من هوية التعبير . يبدو عليهن أنهن قضين حيواتهن فى ملل. وهذا هو الأمر المحتمل.

ومرت ايتل . ومن وراءها تركت الاحساس انها صاحبة جمال صارخ، حملته دوما، لم أخاطر ان اعرض وساطتى امامى، يمكن أن نختصرها فى جملة واحدة. ايتل ليس لديها أى طموح ان يرفضها بروسليت.

ظل أعضاء الوكالة يتأملونها، فهى أول من جذبت انتباههم : ولا يجب أن يتركونها تفلت منهم. ولن يتردد أحد فى منحى وظيفة وكيل وان يسمحوا لى بمصاحبتها فى مكاتب المسئولين .

هناك رجلان وامرأة. تفحصوا حبيبتى من الرأس للقدم. وقد بدا عليهم انهم يتساءلون هل هى فاتنة فعلا : صاح أحد البشعين الثلاثة :

– أنت لست طويلة بما يكفى .

تساءلت عن اى شىء يتهامسون ، أجابت الحسناء:

– مائة وثلاثة وسبعين سنتيمترا .

قالت المرأة : فى الحدود. لحسن الحظ أنك رقيقة .

وتتابعت قائمة الاسئلة عن الوزن والمقاسات : كل هذا بدا لى اباحيا وكأننى اعلق اذنى بأهدابى الخيالية، فى حضور هؤلاء الجزارين الثلاثة:

ماهو محيط صدر حبيبتى . هل تجهله ؟

– وعندما تشترين مشد صدر، كيف يكون ؟

– أنا لا أرتديه .

أخذوا مقاسها بشريط ، شعرت بالغضب أن يمسها احدهم . لكن الحاجات تبيح المحظورات .

– أنت نحيفة. ليس لك صدر ، لست من النوع الذى يشد الأنظار.

وارتعبت، فبدونى ، ما كان لإيتل أن تواجه مثل هذا النوع من الاهانات . لكن يبدو عليها انها تتسلى كثيرا بما يبدر من هؤلاء الاقذار الثلاثة .

وحانت اللحظة التى كان يجب ان انفجر فيها .

– يجب ان تغيرى اسمك. أليس هذا غريبا يا ايتل ، انه سوقى ؟

ولم أمنع نفسى من التدخل :

– طبعا . آمى او ملبا ، اسماء اكثر تميزا .

ورمونى بنظراتهم دون كلام مما زاد غضبى. على العكس. تكلموا واشاروا انها غلفت شفتيها بالسيلكون. وعند هذه الكلمات، قامت الممثلة، وأعلنت بابتسامة بريئة:

– حسناء لا أعرف لماذا أنا هنا .

وبعد لحظة من المفاجأة تصرفوا كأنهم كائنات صاروخية .

– لا ، لا أنت لم تفهمى، أنت رائعة، رائعة للغاية. لن نلمس شفتيك.. اتفقنا .

– لديك شدق جميل، شدق حقيقى ليس له مثيل لدى هؤلاء اللائى كن معك فى صالة الانتظار .

وسألوا اذا كانت لديها خبرة مهنية. تكلمت عن عملها فى السينما،

والفيلم الذى تقوم فيه بالدور الرئيسى ، وتجادل البشعون الثلاثة :

– ثم انك فنانة، نحن نحب الفتيات اللائى يتسمن بشخصية .

– بفضل قرنى الثور فوق رأسك ادركت انك متفردة .

وخدم حماسهم خططى ومرت الأمور بأفضل مما سبق. واستمتعت بفكرة انتقامى :

– على كل حال، فأنت أول من يتقدم بدون رهان، ياله من رداء مدهش .

– بالطبع ، فالعارضات فى نهاية حيواتهن الوظيفية يتجهن الى السينما وأنت، العكس .

أحنت ايتل رأسها الجميل بحركة ممزوجة بالدلال .

– لا ، أنا لم أتوقف عن العمل فى السينما .

– أنت تحلمين ، ياكبيرتى، لا يمكن ان تكونى عارضة، وموديل معا ، ليس هذا نصف وقت ، سرعان ما ستضعين هذا فى حسبانك .

– اصدق كلامك ، ولهذا ، فليست لدىّ اى نية للعمل كعارضة .

وانطلقوا يضحكون .

– أنت عبقرية !

قالت وهى تشير نحوى :

– يبدو ان هناك سوء فهم . لست أنا التى تود العمل عندكم، انه السيد.

وران صمت موجع ، واكملت :

– أنت تعلمون بلا شك ان السيد وكيلى . وأنا وكيلته . وحاولت أن ابلغكم هذا لكن الأمر لم يكن سهلا : فأنتم لم تكفوا عن طرح الاسئلة .

ووقعت المرأة على مخالبها :

– السيد مصور . اليس كذلك؟ هناك خطأ ، نحن لا نبحث هنا عن

موظفين .

أكملت الممثلة الأولى : وكيلى ليس مصوراً ، بل عارض أزياء .

ولم يضحكوا .

– هذا النوع من المزاح ليس غريبا، كما تعرفان ، اخرجا من هنا .

ورحت اتكلم بكل مهابة :

– ليس هذا مزاحا .

– هل نظرت فى مرآة ياسيد ؟

– هل تعتقدون أننى أتيت الى هنا لو لم أكن أعرف حدود ملامحى؟

– هل تتقدمان بدافع الاستفزاز، أذن؟

– هو كذلك. فى الحقيقة، يمكننى ان اضع هذا الاستفزاز فى خدمتك اذا كانت لديكم الجرأة .

– السيد اقل جدية، أنت تفهم أنه لايمكن أن تكون عارض ازياء بأى حال .

– أستطيع أن أصبح عارضا بطريقة جديدة : لو كنت مختلفا .

– لقد حدث هذا ، كان نوعا من الغباء، منذ عدة سنوات، تم اعداد عرض ازياء من نساء دميمات .

وتدخلت ايتل :

– ليس فى هذا شىء يستوجب المشاهدة ، لقد رأيتهن . هؤلاء النسوة البدينات كن جميلات ناعمات ، ساحرات لطيفات، وهدف اللعبة كان اظهار ان البدانة يمكنها ان تكون جذابة .

– حالتى مختلفة تماما. لأنها لن تتعلق باعلان من طراز «القبيح جميل» انظروا الىّ ، حتى لو نلت كافة انتباهك فلن يمكنك ان تصلح من الامر

شيئا. الأمر يتعلق ان اظهر كما انا عليه .

– ياسيد، لا يمكن اقامة عرض ازياء لاثارة الرعب، ثم ان الرعب صار مألوفا، فى الحقيقة فان الامر غير مجد .

– ليست هناك اى درجة من التركيز. فيما اشرحه، انظروا الىّ على الاقل وكونوا واضحين، هل رأيتم من هو أقبح منى ؟

– لا تمدح فى نفسك أكثر.

ضحكت ساخرا بصوت سادى :

– فى ماذا؟ . وأيضا ، أنت لم تر شعرى الداخلى .

صار لدى ، فجأة، الوعى اننى املك أسلوب ضغط مؤثرة .

– نحن نصدق كلامك، ياسيد ، المشكلة، هى فى عرض الأزياء يستخدم لبيع الملابس وليس فى اثار قرف الناس .

– هيا، ضعوا هدفكم أمام أعينكم! ومعى، لن تمر أى فرصة دون استغلالها .

– هل تنوى أن تعلمنا مهنتنا؟

– أريد أن اعلمكم مهنتى أنا، مهنتى اننى قبيح، وسأكون أول منفر فى المهنة.

– ونحن ، لن نكون أول من يوظفك .

– فكروا قبل ان اذهب، انا لدىّ طبيعة جسمانية مختلفة ستحدث تأثيرين اعجازيين، الأول هو الصدمة النفسية غير المسبوقة التى ستجعل عرض ازيائكم لا ينسى بالمرة، الثانى هو الاستفادة بعشرة أضعاف من جمال هذه الفتاة التى أصحبها .

ابتسمت حبيبتى: الا تجدوننى بالغة الجمال لو لم أكن إلى جوار ابيفان .

قلت معلقا : ايتل شديدة التواضع. لكن المؤكد ، أن الجمال تتبعه قواعد خيالية : لا شيء يعرض نفسه بقدر الجمال الفائق نفسه من الدمامة المتناهية مثلما ليست هناك طريقة لتحديد المطلق . يجب أن نعبر عنه من خلال نقيضه، او ما يسمى باللاهوت السلبى. الروح الانسانية تعانى من احباط ذهنى جوهرى : وكى نفهم قيمة شيء يجب ان نمنع هذا الشيء .

– هل ستحكى هذا الى المسئولين عن الازياء ياسيد، سوف يهربون .

– وكيف، أنا بالنسبة لهم ، أشهر اعمال القرن، يعرفون انه ليست هناك مشكلة فزبائنهم يمتلكون عينا راصدة غربية. وكى نستطيع التأثير فيهم، علينا ان نستخدمه بشكل غير حسى اكثر وأكثر. ليكن هذا فى شكل تصغير، او فى المدخل الذى يعود الى نفسه. كيف نعيد البكارة الى هذا المتفرج المترهل؟ يلزمه حساء : وهأنذا ، سوف اكون جذابا للنظر .

اضافت المرأة: ليس النظر فقط. فكلما نظرت اليك شعرت أكثر بالقرف .

– أخبرتك بذلك. رأيت كل شيء. انت ليست لديك اى رغبة فى الاعتراض كدت ان اصيبك بالمرض، تخيلى عرضا اتحرك فيه وسط العارضات. انه نشاز، سوف اكشف جمالهن الذى يجب أن يظهر فى الضوء الباهر. سوف يبدو سحر كل منهن . وسأغدو أنا المبتذل الأكبر فى الظاهرة . أنتم وأقرانكم. لم تكفوا عن مزج الجمال بالعفن. يكفيكم وحش لديه نفس دمامتى من أجل كشف نقائهن الطبيعى .

همست ايتل : هذا هو ما يسمى بالضحية .

وعلقت : بالضبط . النظرة البائسة للانسان فى حاجة الى ضحية .

قال أحد الرجلين :

– هل تعرفان ماذا يبدو عليكما انتما الاثنان ؟ سحرة .

وعلق الآخر :

– ايه . الثور بقرنيه المتوحشين ، اشبه بشبح الروح المندفع الذى يبشر بالخلاص مثل الآخرين .

وضحكت .

– هذا سبب آخر كى توظفونى. أليس هو حصد المال؟ والسحرة، انه امر مربح. اذا كان هذا يؤكد لكم، فاعرفوا اننى لا أؤمن بشىء الا بهذه الحسناء. انا مؤمن بها مثلما آمن أول مؤمن بالله. ليست لدىّ أسباب أن أشك فيها طالما انها تبدو وقد نستنى. لكن هذا الحرمان القوى للغاية جاء بنتيجة معاكسة.. انا بطل الايمان.

– هذا ما يسمى بالشهيد، بمعنى الشاهد المتميز. هل تعرفون ماذا يعنى الايمان بالجمال؟ انه الايمان الذى سوف ينقذ العالم.

– نحن لا نؤمن على طريقتك ياسيد.

– وهناك سبب آخر ، تتعاملون مع الجنون كحقيقة مطلقة، كم من مخلوق عجيب، ، لأنه «أبله» . وكم من فيلم أظهر العاريات . انه أمر «جنونى» ولمرة واحدة ستكون مهمتكم العملية هو الجنون الحقيقى. هل لديكم الوعى الكافى لأن تطلقوه ؟

– لا يكفى أن تكون مجنونا، بل يجب أن يكون جنونك مثيرا للانتباه .

– ماذا ينقصكم؟ انا مصاب بلوحة جيروم بوش، مما يعنى الجنون الاستسهالى.

نظرت ايتل نحوى بكل اهتمام. كنت فى احسن حالاتى . هناك شىء ما يخص تأمين المتحنين الثلاثة، قالت المرأة :

– حقا، عليكما انتما الاثنين ان تخرجا لوحة جيروم بوش .

انها فى الطريق الصحيح الذى فتحته امام قدميها .

– برافوا! أعينكم مفتوحة، لقد رأيتم الجمال النقى الرشيق، الشاحب، العذراء ذات الشعر الطويل الملح، الجالسة الى جوار منافستها، وأنا، الوحش الأشعث الوجه ، الذى يخلو محياه من الآدمية لأنه كف عن أن يعكس حقيقة الله .

– المشكلة ، أنكما ، بشكل خاص، ستكونان جذابين وانتما معا ، لكن يبدو أن الانسة غيرمستعدة للعمل معنا .

تدخلت ايتل التى لا تعرف عم تتكلم: لست الوحيدة من نوعى . لا يهم فأى فتاة جميلة تحمل ملامح القدم والعذرية، ستكون مقنعة.

عرفتها تتقبل حالتى عن طيب خاطر وأنا خارج من دمامتى: فى الحقيقة فان كرمها لا يمكن تقديره بالنسبة لموقفى .

بدا الممتحنون الثلاثة متورطين، وانسحبوا الى الغرفة المجاورة للتشاور وانتهزت الفرصة لأقبل يد حبيبتى التى تركت لى حرية أن أصرخ :

– لقد نلتنى بمرضك الخاص المسمى جيروم بوش .

– العبارة رددها سلفادور دالى . ودورى ان اجرى عملية جراحية .

– سيكونون أغبياء لو لم يوظفوك .

– انهم اغبياء .

– حتى لو وظفونى ، لقد رفعوا الكلفة معك ، ونادونك «كبيرتى» وقاموا بتفخيمى ونادونى «سيد» . انهم يكنون الاحترام الفائق للقبح عن الجمال . بدأوا فى منحك لقب أنسة عندما عرفوا بمشاركتك لى . انا مغتاظ لأنك تحملت عجرفتهم وتلك غلطتى .

– هل كنت تعرف اننى سأذهب ؟

- ليس أنا .

وعاد الشرطيون الثلاثة ، وجلسوا وهم يرددون :

- مبارك ، ياسيد اوتوس! عليك ان تملأ استمارة الوظيفة .

وتنهدت بارتياح شديد اكثر مما غمرتنى الفرحة، ولم تنزعج ايتل من شيء وهى تخلد لحظة انتصارى .

إذن ، لقد حانت لحظة انتقامى .

تحققت ثروتى ، ونزعوا عنى ستين كيلوجراما من اللحم .

وارتد الى اسم كوزيمودو مثل لعبة البومرانج، كى لا يتركنى ابدا فيما بعد، يجب عدم حسم مسألة الشهرة باسم من طراز ابيفان. ثم، وبشكل خاص. يجب الا نترك لشخص اخر ان يتمتع بامتياز اعلامى يحقق له الاسطورة.

لقد أرادوا اثارتى، وهاهو نجاحى يتفجر مثل عشائر القبح التى تخرج من مخابئها، لم أخف، كنت أعرف اننى أكثر من هذا. اكتشفت مهنة الطرق على المعادن ومارستها بلون من المستحيل المغتصب .

لا يكفينى الظهور، بل يجب، ايضا ان اتقمص شخصية. الى هذا الحد كنت مسالما. كانوا يسألوننى دوما عن أسلوبى فى الحياة، وتتنوع ردودى حسب المزاج والمتحدث، ونوازعى المنطلقة .

- عندما رأت أمى كم أنا دميم، رمت بى فى الزبالة مما اثار التعاطف. هذا الرجل الطيب جدا ليست لديه ثقافة اسمانى بوبل، حسب اسم المكان الذى عثروا علىّ فيه، فى سن الرشد، وأصبحت لقيطا مشبوها، وانا لا احتمل ان يطلق على أحد هذا الاسم. لقد انقذنى رجل بوهيمى واخذنى، ولف بى فى كل الملاجئ ، ولم يتعاطف أحد آخر معى .

– كانت امى اجنبية، فى عام ١٩٦٣، اتخذت اسما منفراً هو «الانسة بلوبن»، كانت امرأة على قدر كبير من الجمال، واثناء جولة اوربية، قابلت مدير اعمال له اسنان طويلة، سعى الى ان يجرها الى انتخابات ملكة جمال الكازينوهات التى تقام فى موناكو لكنها لم تحصل فقط على اللقب، وأصابتنى بعسر هضم قاس، تبعه قبول معدتها لبرطمان ملآن، وماتت من اللهثات البطىء البشع، لعدة أشهر فرغت كل احشائها من كل ما بها ، ومن بينها جنين ناضج . اترككم تخمنون هويته، انه قبيح مثل الاسهال الذى اصابها ولم يعترض الاب ابدا .

أو :

– كان والدىّ اخا واختا مثل ابائهما ، اصيب اسرتى بغباء جبال الألب منذ عدة أجيال، مرض زواج الأقارب هذا توقف عندى. لذا تجدنى الاكثر دمامة .

أو :

– أنتم تعرفون فيلم «الرجل الفيل».. هذه المرأة الحامل التى ضاجعها فيل، وولدت وحشا اشبه بما يسمى «صفيق الجلد» حدث هذا لى. مع بعض الاختلاف بالنسبة لامى، فهى تجمع بين الخرتيت ، وفتحة الحنجرة، لقد أجبرت على التدقيق فى التجويف السمعى. واصابتها عقدة نفسية مرتبطة بهذا الجزء من الجسم. وانتهى الأمر بأن اجهضت طفلا، ملامح وجهه هى نتاج هذه الوسوسة القدرية. انه أنا.

وتسليت مليا :

واصبحت مدانا للقبح مثلما يدان لاعب السومو الى بدانته: بطل، بطل اسطورى، من الطراز الذى تحبه الجميلات اليابانيات وبنات سومطرة،

ويحاط دوما بحشد من فتيات الاحلام .

وسرعان، ما عانت عروض الازياء التى لا أحضرها من قلة الحاضرين : وجدها الناس بلا جاذبية ، ومملة، وباهتة، وعندما يشاركنى شخص الاستعراض، فانه يجعلنى اظهر حوالى عشر دقائق. وفى كل مرة فى رداء غير مسبوق يكشف دمامتى . ورغم هذا ، فاننى لا أعيرهم اى اهتمام. فأنا لا أمتلك اى موهبة تكشف ما منحتنى الطبيعة من كرم .

اراد أحدهم ان يصمم لى بدلة توجد بها فتحة للحدب فى قمة ظهرى فاعترضت بكل قوة، لأن الحدبة بادية للعيان، وعندما احتجوا، أخبرتهم اننى احمل لعنة فى حدبتى، وخلعت قميصى وكشفت السطح المتعرج،فوجئوا بالمشهد فأصابهم قرف عظيم .

حتى الحائكات الاكثر مهارة لم يجرؤن على نزع العدوى من فوق كتفى، فأنا هنا من أجل أن اصدمهم، لأولّد القىء فى أعماقهم. حين اكشف عن جلدى الداخلى : «كوزيمودو، الرجل العجيب» كما يقولون، أو «طرزان الرجل القرد» صار لدى الحق أن ارتدى قيمصا مكشوف الكتفين من الالياف مبلل الثنايا، او ملابس شفافة تكشف الحدبة .

فى ملفى الصحفى، الذى اكتسب على وجه السرعة مكانة رواية «البؤساء» توجد مقالات تحمل عناوين مثيرة للاستفزاز «نابالم»، «الخطأ البشرى» «من الأفضل أن تعجب به يا طفلى»، أو ايضا «الشذوذ فى شكل انسان» . تلقيت كل هذا بسعادة بالغة، لقد صرت مادة لكتابة مقالات مزينة بصورة لى، او بالعديد من صورى الشخصية. الاختلاف هو انه فى حالتى، فان العناوين لم تكن ابدا خادعة، ونجحت تماما لأننى بشع بشكل مختلف .

انا الذى لم يغادر مسقط رأسه ، رحت اسافر بلا توقف . طالما انهم يعتبرون هذه السفريات اقرب الى غارات تتم من مطار لمطار، ومن فندق

اربع نجوم الى قاعات الاحتفال. ونجحت فى بعض المراهنات. وذهبت الى جنيف لأرى بحيرة ليمان، والى نيويورك دون ان ارى تمثال الحرية، والى سنغافورة دون ان ألحظ ان بلوفرى ذا الياقة الدائرية لا يناسب المناخ الاستوائى. وسط تطور ملحوظ فى وظيفتى، وفى لكسمبورج لم أر سكان المدينة .

فى الحقيقة، لم استطع ان اميز الاشياء الكبيرة، وادركوا اننى شىء مميز، وسرعان ما صار وجهى مشهورا اكثر من «ملبا» ، و«امى»، وسيندى كراوفورد التى تحظى بمكانتها وسط ثلاثة أرباع المعمورة. لم أقدم نفسى مثلما يجب للجماهير ولكن مع تعاظم نجاحى، كان التساؤل هو : ترى هل كان هذا هو ما يجب فعله؟

وراح الناس يقولون لى انهم يرغبون فىّ : « انت تحظى بإعجاب اجمل الحسناوات واكثرهن مناعة فوق الأرض. كم أحب لو كنت مكانك!.. انهم لا يعرفون ما يقولونه، أولا، فان ايا منهم لا يوافق على دفع الثمن، لو عرف ان القبح مثل المزلاج. ثم . من المؤسف اننا عندما نعيش محفوفين بالبنات «اجمل الحسناوات او اكثرهن مناعة فوق الأرض» فإننا نكتشف انهن لسن جميلات وأنهن غير مثيرات بل هن اكثر مناعة فعلا، طالما انه ميئوس من أمرهن .

يجب أن نرى أن الشغف بالحسناوات اليابانيات والسومطريات، وأحسن العارضات، يمثل بالنسبة لشخص امرا اشبه بالتحرش الجنسى الحقيقى.

فى كواليس العروض، كان من السهل عليهن التعرى امامى دون اى احساس بالعفة، لكنهن كن يبالغن فى الأمر، زاعمات اننى ارى شعرهن الداخلى، كن يظهرن لى عريهن بأقل قدر من الحجج المقنعة .

- كوازيمودو. انظر الى وشمى !
- انه على بطنك، غير قابل للنقاش ان ارمى صدرك فى فمى ؟
- انت تعرفه عن ظهر قلب، ياطرطوف.
- وهذا سبب أكثر كى تخفيهما .
- لماذا؟ هل يزعجك؟
- لا ، بل يصيبانى بالملل
- أوه ، لا ، لا ، قاتلى يقتلنى .

فى الحقيقة، فإننى اللعبة الحصينة التى يتم الرهان عليها : من ستنام معى أولا؟

كانت فرنشيسكا فرنينكو هى اكثرهن نشاطا، استطاعت ان تدعونى الى العشاء هذا المساء حيث طغت على حدة مللى الشديدة، ليس لدى ردود حاسمة مجنونة، حدث هذا فى مونتريال ، ولكن عقلانيتها الكونية ارادت ان تختار مطعما يابانيا .

كانت فرنشيسكا سمراء ممتلئة ، من الواضح انها من اب روسى وام ايطالية وكانت مثل بقية زميلاتها ، بالغة اللطف والرشاقة، اقل اهتماما بالكحول الذى، على الاقل هذا ما يمكن ان تقوله، لم يساعدها قط فى النجاح، اتذكر انه فى احد العروض فى يوهانسبرج وقد اسكرها الحنين. راحت تكرر بشكل متتابع: «احب الزهور ولا احب الاشجار» واخذت تدور حول المائدة وبعد اربع ساعات، بدأت تردد : «احب الاشجار، ولا أحب الزهور» .

وفى ليلة عشاءنا وجها لوجه، بدت متحفظة، على الاقل فى البداية، وكان المطعم اليابانى فى مونتريال غير مألوف، انه اكثر قرباً من المكان الذى نعرض فيه عروضنا اليابانية، وراحت الخدمة تقدم لنا نموذجاً من مأكولات مقاطعة كيبيك، كانت اسماك السوشى ضخمة مثل الفطائر المفلطحة، قالت

لى فرنشيسكا .

– امنعنى من احتساء الكثير من الساكى .

– هل انت خائفة من الوقوع مجددا فى مسألة انك نباتية .

– أخاف ان اتبول فى مقعدى ، ما حدث فى المرة الماضية ان الساكى مدر للبول .

فكرت : «كم هو لذيذ ما تمارسه علىّ من اغراء».

ودخلت فرنشيسكا فى الموضوع مباشرة.

– هل هناك امرأة فى حياتك؟

فكرت : ترى هل ايتل فى حياتى؟ لم اسأل نفسى مثل هذا السؤال، لو بدأنا من هذا الجانب فهل يمكن ان نعتبر ان هناك امرأة فى حياتى؟ ثم، هل ايتل امرأة، لا ، انها «الملاك الحارس»، وربة الفن، والسيدة العذراء التى تكلم عنها بودلير، منذ ان عملت فى مجال الازياء، فان كلمة «امرأة» تبدو لى وقحة، ثم ان ايتل لم تكن قط «فى حياتى » بل هى حياتى. لذا أجبت :

– لا .

– كيف تقضى وقتك، هل تفضل الرجال؟

وأنفجرت ضاحكا :

– هل ترين أننى أصلح أن أكون شاذا؟

– منظرك يوحى انك لست شاذا، ولا غريب الاطوار ياكوزيمودو المسكين.

– اذن لماذا تريدين النوم معى ؟

وضحكت مجددا بسخرية :

– أريد ان اكسب الرهان .

– اذن يافرنشيسكا، ليس هناك شخص يتابعنا هنا ، أنت وحدك معى يمكنك ان تكونى مخلصة، الا ترين ان رهانك امر غبى؟ النوم مع شخص

يثير الاشمئزاز ، والسب لا يتعدى الرهان، أليس هذا جنونا؟

– انه ليس فقط من أجل الرهان ، ولكن ايضا لأنك تقرفنا، هناك اشياء لا نستطعمها بقوة الا بعد ان نجربها، تكلمت فى هذا مع البنات الأخريات واثبتنا هذا. هذا يبدأ فى الطفولة ، وبالسحر الذى ننظر به الى الكلاب وهى تفعل هذا فى الطريق. يبدو انه ليس هناك اى سوء . يسمى هذا بالجاذبية المنفرة، وهو امر طبيعى .

– ايه، حسنا، يجب ان تجربى امرك الطبيعى مع شخص آخر .

– لماذا؟ ما مشكلتك؟

– مشكلتى . ليس أنا الذى لديه مشكلة يافرنشيسكا .

– عارضات الازياء الأربع اللاتى يتربعن على العرش فى العالم يقدمن لك انفسهن، وانت ترفض. ارى ان هذه مشكلة.

– والفتاة التى تجد ان شخصا ما لايرغبها ، انا اسمى هذا الشبق النرجسية؟

– ألا ترغب فينا ؟

– لا .

– كيف يمكن هذا ؟

– لأنك لست من طرازى .

– ماذا .. طرازك ام ممارسة الجنس مع الفتيات اللاتى يشبهنك؟

– لا ، طرازى هو الجمال الخارق .

– وماهو الذى امامك يامغفل؟

– نبات ضخم، ليس من طرازى .

– وماذا ينقصك؟

– شىء خارق .

– ايها الأحمق، ألم تنظر إلى المرآة؟

– ليست هذه هى المسألة، انا عاشق مجنون .

وفجأة.. ارتجفت .

– يجب ان اقول هذا لتوى. لماذا كذبت علىّ. عندما سألتك ان كانت هناك امرأة فى حياتك؟

– ليست لدى الرغبة ان اكلمك عنها .

سألت ضاحكة : ماذا فيها اكثر منى ؟

– قرنا ثور .

– أنت ماسوشى .

– لا ، جمالى

– أترفع قرنيها عندما تنامان معا؟

– لم انم قط معها .

– انت فانت منحط .

وضحكت ساخرا :

– أنا لم أمسها أو اقبلها ابدا .

– هل رفضت؟

– لم اخبرها اننى احبها

– لماذا؟

– افضل الا تعرف .

– هل ستخبرها يوما؟

– آمل لا .

– الن تمارس الحب معها . هل أفهم الامر على حقيقته؟

– انت تفهمين جيدا .

– حسنا ، اذن ماذا يمنعك من النوم معى ؟

أصابنى الصمم .

– وهل هناك سبب كى انام معك؟

– نعم .

– عقليتك تخونك .

– يجب ان تضاجع شخصا ما، أليس كذلك؟

– لا ، لماذا؟

– كل الناس يتضاجعون .

– ليس انا .

– مهما حدث؟

– لا .

وراحت تبصق ما تلفظ به :

– ماذا ؟ هل أنت رجل بكر؟

– نعم .

– فى التاسعة والعشرين ؟ هل تحب هذه الفتاة منذ وقت طويل؟

– ستة اشهر.

– وقبلها، هل كنت تحب أحدا؟

– لا .

– ماذا منعك من المضاجعة طوال هذه الفترة؟

– لا أعرف .

– الم ترغب النساء فيك؟

– لا أعرف ، لم اطرح هذا .

– الم يمثلن لك هدفا ابدا؟

– أبدا .

– هل يمنعك تدينك من هذا؟

– لست متدينا .

– لكنك يجب أن تفعل شيئا . ياكوازيمودو ! لا يمكنك أن تظل بكرا .

– لماذا ؟

– على الاقل يجب أن تعرف ما يخصك ! إنها اكبر متعة فى الحياة .

– أنا أومن بذلك ايضا

– فى هذه الحالة لماذا تتراجع .

– بل انتظرها مطولا .

– أنت على حق ، سوف تبلغ الذروة .

– لا أعتقد .

– لماذا ؟

– لمائة سبب ، أولا اننى جمالى .

– ليس عليك سوى أن تنام مع جميلتك الخارقة ، لن تقول انها سترفض.

– كيف يقبل رجل جمالى امتزاج جسدين أحدهما بشع والآخر بارع الجمال ؟

– فى المنطق الجمالى ، قد يكون هذا مُصدما، ولكن من الناحية الاباحية انه يوخز الشيطان .

– كيف يمكن لجمالى امتزج جسدين أحدهما بشع والآخر بارع الجمال؟

قالت وهى ترتجف ضحكا : لأنك اكثر من جمالى ؟

فى كل مشاعر يحددها الجسد الانسانى فإن الحب يعانق القلب، وتغص الرغبة، ويغالب الغضب قوة الأذرع ، والشر النقى ، يتعلق بالفكاك : احسست بفكىً يرتجفان تحت علامة الشر . سألتها بصوت أجش :

– هل تريدين أن أبوح لك بسر ؟

قالت وهى تضرب بيديها كفتاة صغيرة : نعم ، نعم !

قلت وأنا أحس بالتلذذ : ألست خائفة ؟

راحت الحصون الاخيرة لذوقى تنهار وسط المطعم اليابانى ، لا يعجبنى كثيرا. قمت وخلعت سترتى ، وسحبت بلوفرى الدائرى ، واستدرت كما توقعت فرنشيسكا مستعرضا كتفى، وعندما سمعتها تصرخ من الرعب، انتابتنى رغبة عضوية اثارت كليتى .

وأغمى عليها ، وجاء كافة زبائن المحل لإلقاء نظرة ، ومالبث ان علا الصراخ فى كافة انحاء المطعم .

قذف حارسان من الكيبيك ، يرتديان الكيمونو ، بى إلى الخارج ، ثم رموا لى بملابسى ، كنت سعيدا مثل أوزة قذرة .

ولأننى رجل مهذب ، ارسلت الى فرنشيسكا خمسين وردة صفراء مصحوبة بهذه الكلمات : «سامحينى ، فالأمر أكبر منى . عندما نتكلم عن دمامتى فاننى افقد راسى ، وليبق هذا فيما بيننا » ..

وخاطبتنى البنت الطيبة من غرفتها بالفندق .

– لن نتكلم بعد ذلك عنها ، اتفقنا. ولكن كل هذا اكد لك الاسطورة المرتبطة بالعفة . تضخم حب الشباب . يجب أن تطلق الرصاصة ياعزيزى، وعليك أن تهتم بنفسك .

– حسنا أنت المرشحة دوما .

ووضعت السماعة فى وجهى .

– عندما لا أكون فى عمل ، اخصص وقتى لإيتل ، فهى سعيدة بنجاحى مما جعل صداقتنا محددة . فقد خلق تعاوننا، خارج مؤسسة بروسليت ،

فيما بيننا ، مودة حتى العقب الأخير . حكيت لها عن مغامرتى بكل زهو الفارس. كانت امرأة احلامى تحتقر اوساط الأزياء ، لذا سارعت بالتصفيق لى . وقالت لى يوما :

– أنت الارهابى الوحيد الذى يعجبنى .

– ماذا لديك ضد عارضات الأزياء ؟

– ليس لدى شيء ضدهن بشكل شخصى، ما أكرهه، هو أن هذا النظام إهانة الجمال .

–ألا تتخيلين النقود التى يكسبنها ؟

– ليس هذا هو ما يصدمنى أكثر ، وما أكرهه ، هو هذه السلطة التى يفرضنها علينا باسم الجمال ، اذا كف الجمال عن أن يكون موضوعا، فإنه لا يساوى شيئا .

هى إذن اكثر مثالية منى وكم اعبدها ..

فى هذا الاثناء ، كان الفيلم الشهير حول الفكر والفن فى مرحلة الانتاج وكانت المسألة هى العثور على اسم مناسب، وراح كل منهم يقترح اسماً ، وأنا أيضا :

– لماذا لا يكون : « الثور من قرنيه » ؟

قال المخرج وهو يهز رأسه : لا .. هذه كناية .

اقترحت حبيبتى : كراهية الجمال .

رفض ببير : هذه كعكعة

تساءلت : كيف كعكة . انه تعبير يوكيو ميشيما .

علق الفنان الكبير وقد بدت عليه السعادة كغامرة : إنه كعكة مشيميا .

وفي اليوم التالى ، علمنا أنه عنون الفيلم باسم «المصير الانسانى

للانتحاء الفانى» وراح ينطق «انتحاء» مرارا . وهكذا نجح هذا المراهن أن يجعل من هذه الكلمات عنوانا سخيفا، جملة متكلفة كاذبة خاوية من المعنى كأنها غلطة فرنسية.

لم يفهم احد لماذا اختار هذا العنوان ، ولا ماذا يقصد ؟ لقد اقتنع بأن أى عمل يمارسه يجعله يردد أنه مقتنع بأى شىء ، ربما لهذا السبب فإن مخرجنا كان فخورا به .

ذات صباح ، ايقظتنى درجة الحرارة العالية ، فارتفاع حرارة الجو يمثل بالنسبة لى عملا مقدسا، حيث أجد فيه كافة السمات الخيالية .. الغليان الداخلى والرؤى ، والفتور، وفقدان الشهية ، والجدل الخالى من المعنى. كنت سعيدا للغاية اننى أهاتف قلب حبيبتى كى تعجب بى . قالت قبل أن استطيع محادثتها عن الاثار الحقيقية لارتفاع درجات الحرارة :

– سوف آتى .

ورغم أننى اشعر أننى اغالب النوم، قمت لأفتح الباب الكبير ، ثم سقطت فوق الفراش وأنا بالغ الانهاك .

انها ساحرة تميل على ، وتداعب يدى . انها تلك التى أحسست بها فى أول ايامى العاطفية .. حبيبتى الرائعة . أليست هى الملاك الذى ينحنى نحوى، ويهمس لى بكل رقة :

– أنت مجنون ، يا ابيفان ، تنام تاركا الباب مفتوحا ؟

– من أجلك .

– ألم تفكر فى اللصوص ؟

– لو راونى لهربوا وهم يصرخون . فبشاعتى أكثر تأثيرا من كلب مسعور.

- أنت تهذى . لعلها الحمى . سوف احضر اسبرين .

- لا أريد الشفاء ، فمرضى مقدس ، واود الاحتفاظ به .

- أنت هكذا تهذى من الاعماق ، يا عزيزى .

وصبت المياه فى كوب، واثناء ذلك، راح عقلى يبتدع الخطط: «أنا محموم اذا استطيع أن اقول كل ما أوده ، ومهما صدقت ، ومهما وضعت هذا فى حسبان شرورى ، فلن اخاطر بشىء» ..

عادت بالاسبرين ، ورفعتنى من عنقى كي تساعدنى على الشرب، رائع، أعرف قليلا عن مثل هذه الحالة من الذين تعاطوا احماض الخليك

- هل يجب أن أطلب طبيبا ؟

- لا أنها روحى المريضة .

- هذا لا يمنع من الذهاب الى الطبيب .

- انت الوحيدة التى يمكنها أن ترعانى ، فأنت السبب ، والشفاء ، وأنا فى حاجة اليك مثلما تحتاج الصحراء الى الماء ، فان الارض تتغطى ببساط من الزهور الرائعة . أمطرى فوقى وسوف ترينى أزهر ، لقد خلقت من اجلك هذا الامر غير الموجود ، امطرى ! فوقى يا ايتل ! .

- مسكين يا ابيفان ، أنت لا تعرف ماذا تقول . بالنسبة للمطر، أنت لست فى حاجة له ، أنت مبلول ، فسريرك حلة شوربة ، ولا شىء فى مثل رائحته ، اقدر كم انت مريض .

- تبولت على نفسى .

- هذا اقل ما يمكن قوله

يمزق الأمر نياط قلبى ، لا يمكن أن نعلن مشاعرنا العاطفية ونحن نتبول على انفسنا . وضعت نفسى فى دائرة هذيان اكثر تقليدية . شرحت

لحبيبتى اننى مغفل حاول ان يتحول الى اسطوانة ، وان الترام يدور بى اعلاه . وان المربع القائم الزاوية ، يساوى قيمة الزاويتين الاخريين ، وأننى جمل وحيد السنام، وتحت جسد ميرابو يجرى نهر السين ، مثلما لاحظ احد الشعراء التأمليين .

وراحت المرأة الرائعة تسمعنى بصبر ملائكى . لا شىء يضاهى ان يكون المرء مريضا ، وفى اليوم التالى، وجدتها نائمة فوق الاريكة ، وقد عادت الىّ صحتى اكثر من ذى قبل ، وبدوت غير متآلفا مع رائحتى الخاصة .

وحبست نفسى فى الحمام ، خاشيا من فكرة ان حبيبتى تعانى من هذه الرائحة العفنة . لقد اصابنى المرض بالهزال ، وصار جلدى شاحبا اكثر مما سبق . ولم احس قط أننى مثير للرثاء والسخف هى المرة الأولى فى حياتى التى ابكى على نفسى .

كانت أمامى الفرصة لأكون بكرا فى التاسعة والعشرين من العمر، مما يناقض مشاعر العصر، لا أحد يمكنه أن يرى فيه شيئا اخر سوى طبيب غير تقليدى بسبب متاعبه الحقيقية مع شخصيته .

هل أنا صوفى أم ابله ؟ كم أجهل ذلك ، الشىء الوحيد الذى اثق فيه ، اننى اخترت بكارتى . أنا لا أمتلك هذا الجسد بالتأكيد. فأنا بلا شك اكثر بكارة ، حتى مع هذا الجسد ، يمكننى أن تكون لى حياتى الجنسية والاخلاقية ، وأن اذهب الى العاهرات كى أعرض مشكلتى ، ولماذا لا أفعل ذلك ؟

أعتقد أن هذا موجود فى رواية ، «اوجينى جراندیه» ، كانت اوهامى

بالنسبة لى هى كل ذهب العالم ، لقد خلق لكل منا ما ينقصه ، وكانت بشاعتى فى حاجة الى مثالية مسلحة كى يمكن احتمالها ، واختراعى لمسألة الجنس يجعلنى اكثر ملاءمة للغة الـ «جرال» .

أنا على حق تماما، فبالنسبة لبعض النخبة، فإن ممارسة الحب يجب أن تكون عملا مطلقا. إنها التجربة المثلى والجوهر الحقيقى، وعندما يكون لدينا جسد ساخر مثل جسدى ، فإن المشهد الجسدى يصير اشبه بصرخة بدائية، وتدليك جلد خشن ، اتخيل نفسى فى بطن امرأة ترفعنى من قلبى .

أجمل هديه يمكن الحصول عليها من هذا النوع، هو الجنس ، انه الغياب النقى، والبسيط .

جعلتنى حياتى كنجم آخذ ايضا العديد من الاعتبارات فى حسبانى ، انها وسيلة المواصلات الاكثر غوغائية التى أعرفها ، فأنا لم أركب قطارا قط دون أن أتعلم منه شيئا ما . حتى من فم راكب اقل ثقة فى نفسه . ولو من ملاحظاتى الشخصية .

لقد انتهى زمن عربات الاكل المميزة ، اليوم يركب المرء القطارات كأنها طائرات فى الدرجة الاولى. هناك مضيفة تقدم لك قائمة طعام . وتقترح عليك طبقا بعينه .

لقد رفضت هذا دوما وبكل اصرار . وليس هذا حال جيرانى ، الذين يتقبلون هذا بكل سرور ، وكأنهم يستحقون هذه الوجبة. عادة رديئة. يظل مطبخ السكك الحديد افضل من الطائرات: كبد سمين، او دهون اخرى تشكل جزءًا من السفر.

فى عينى المتخثرتين ، التى لم يستطع أحد ان يحددها من الذين ينظرون اليها ، تبدو الوجوه بعيدة فى التعبير عن اللذة او الشعور بالرضاء، ويبدو عليها القرف كأنهم مجبرون على التهام مخلفاتهم ، فهم لن يطلقوا علىّ رأسا مختلفة . فالاطعمة هى السبب ومن الواضح انهم يكرهون الأكل .

اعتقدت فى البداية ان حضورى يمنعهم من الاستمتاع ، لكن ابدا ، لقد سافرت الى كل اقطاب الدنيا وقبعتى مغروسة حتى عينى ، اخفى انفاسى، واغطى الباقى ، ولا يمكن لاحد أن يصدق ان هذا أنا : وكأننى مصاب بالبرد .

كان هناك غموض : فالناس لا تحب الأكل، ومع هذا يأكلون . لماذا ؟ هل بسبب الجوع . فى مجتمعاتنا الراقية لا أحد يشعر بالجوع . ترى لماذا ؟ لأن احدا لم يجربه ، وصلت الى مفهوم أن : الناس تتمتع بحب تعذيب الذات .

هذه الحالة القت بى فى هاوية متناقضة، هل لعب حب تعذيب الذات دورا رئيسيا فى حياة البشر؟ عند التفكير ، فإن نجاحى الساحق، ألا يمثل برهانا ؟ فدمامتى لا يمكن لأحد رؤيتها دون أن يعانى ، لكنهم يدفعون لى تلالا من الذهب كى اعر ض نفسى أمامهم . ويسكبون علىّ الثروات لكى أمنح الالم للجماهير .

متأثرا باكتشافى ، لم أكف عن دعوة حبيبتى الى مطعمها المفضل، وبينما هم يقدمون الطعام لنا ، فأننى انظر اليها بانتباه مرعب ، وبسرعة ، ادرك ان هذا نوع من الاستثناء .

– انت تأكلين باستمتاع ؟

– بقوة ، انه لذيذ .

– انت وحدك . انظرى حولك . انظرى الى الشاب الجالس امام سرطان البحر. هل ترين حركات وجهه وهو يمضغ ؟ انه حالة قصوى. لكن انظرى الى الجميع . هناك كلمة تحديد الحالة التى هم عليها : يبدو عليهم النوم .

ضحكت قائلة : والأدهى ، أن هذا حقيقى .

– يدفع الناس كى يأتوا الى هنا ، لا شيء يضطرهم الى ذلك . اليوم يشترى الناس معاناتهم . عالمنا محكوم بحب تعذيب الذات .

– الا تبالغ قليلا ؟

– أنا فوق الحقيقة ، ونجاحى سبب متفجر

– لست الناجح الاوحد . فالبنات الجميلات اللائى تعمل معهن لسن فى حاجة لأى تعذيب كى ينتصرن .

– حالتهم اكثر براعة . فنحن نختار الحسناوات ، ونضعهن فى البرج، وفى الواقع ليس لدىّ شيء ضدهن . يحدث هذا فى كل العصور . ولكن اليوم لا يتعلق الأمر بتشريف الجمال ولا بتقديم عرض رائع الى الجمهور . انه يتعلق بأن الأمخاخ معرضة للتهديد : «فأنت لديك مصلحة كى تجد هذا على مزاجك ، والا فاصمت»، فالشيء الجميل يجب أن يؤدى رسالته فى تجميع الناس اعجابا به ، يمكن ان يستخدم فى تغييرهم ، امام مثل هذه الشمولية . وبدلا من التمرد ، فإن الناس تقبل على الطاعة بكل حماس يصفقون لها . ويخضعون . اسمى هذا حب تعذيب الذات .

– ربما .

– النتيجة هى ، أنك كى تشعر بتوافقك مع العالم المعاصر ، فمن الافضل أن تكون ماسوشيا ، لكن هناك دائما استثناءات ، أنت وأنا مثلا نحن لا نخضع لأى تلذذ بالمعاناة ، نحن لهذا ننطق بالباطل، ومع هذا يجب ان نطلب تعويضا .

اتذكر هذه المرأة التى رأيتها فى المحطة : انها اكثر قبحا منى ، ولأنه من المستحيل مضاجعتها أتذكر، فقد بدت بشعة . لم تحاو ل أن تدارى نفسها، بدت مختلفة فى مظهرها الخارجى من القدم الى الرأس ، انها منفرة .

تفحصتها بتركيز وصدمنى فيها شيء ، فالسيدة تضع دهان اظافر نبيذى اللون مصنوع بفن راق .

يثير هذا الطلاء – الذى كان فى حد ذاته جميلا – الحيرة. لم يكن لديه أى حظ فى أن يكسب الاظافر القبيحة جمالا لهذه المخلوقة .من ناحية اخرى كانت ترتدى ملابسها بدون اعتناء . ومع ذلك تتعامل مع نفسها بثقة شديدة، ولا يمكن أن نقول انها تحاول «تنظيم» نفسها ، لكنها لم تحاول ، ثم أنها كانت غير مرتبة اذن، ففيم يفيد هذا الطلاء البالغ الأناقة ؟

ومنذ ان لاحظت هذه الظاهرة الشبيهة لدى كل النساء الدميمات تقريبا ، لم أجد تفسيرا لهذا العبث الساحر للدمامة، به شيء غير مريح .

لم استطع ان اجد نفس المعادل عند الرجل الدميم، بداية منى ، بشكل عام ، يبدو نفس الرعب أقل سخرية عند النظر الى امرأة منفرة : هذا الباب الأخير به ملابس كثيرة الزهور . ونظارة نجمة ، وجوارب داكنة . وبياضات تثير الحلم، الا فى حالات استثنائية ، لا توجد لحية ، ولا هذه الدمامل او هذا الوجه الحيوانى ، يخفيان ما وراءهما من شعر داخلى . فالمرأة القبيحة غريبة ، ومدهشة ، والرجل الدميم مخلص وكئيب .

ليست هذه ابدا اجابات مختلفة فى نفس الوقت ، واسئلة مرعبة : كيف

تسكن روحك فى جسد من الزبالة ؟ كيف تعيش هذا النوع من الجذام ؟ أنا، لقد سحبت نفسى كما الريشة، ولكن الآخرين . ماذا يفعلون ؟

راقبتهم كثيرا ، كنت معجبا ومغتاظا ان غالبيتهم يقبلون أشكالهم، ويتزوجون فيما بينهم ، فيما عداى ، كأنهم يضاعفون دمامتهم مرتين . هل لديهم القدرة ان يجعلوا للدنيا نفس ملامح وجوههم ؟

ألم يثبتوا مدى هذا العطش للجمال الذى لا يذبل ؟ نحن فى حاجة اليه اكثر من كل البشر ، نحن الذى اغتصبونا عند الميلاد ، اذا كانت العدالة تسود الارض فعلينا ان نتزوج مخلوقات من طراز فينوس او ابوللو ، طالما اننا قادرون ان نغسل انفسنا بالاتصال بهذه الروائع .

كنا بعيدين عن الاحتفال بعيد الميلاد، عندما جاءنى عرض من نوع مختلف . يرشحنى كواحد من المحلفين الاثنى عشر لانتخاب ملكة جمال العالم ، هذا الاحتفال سوف يتم فى بداية يناير ، فى اليابان ، فى مدينة كانازوا الصغيرة.

وهاتفت وكيل اعمالى :

– بكل وضوح ، أنا أقوم بتثمين الجمال ، أليس هذا دليل على الذوق السيىء؟

– تبدو لى الفكرة ممتازة ، على العكس ، فالقبح هو الذى يكشف الجمال، وهذا مناسب لدمامتك .

ولم أقتنع ، تكلمت الى حبيبتى ، قالت لى

– لا يوجد شىء أكثر تأثيرا فى هذه المسابقات من الجمال ، هؤلاء البنات المسكينات ، شبه العاريات المبتسمات ، يقفن فى صف واحد ، أمام العواجيز الوقحين .

– حسنا ، لن اذهب .

– بل على العكس ، اذهب ! وازرع المتـاعب فى هذه الاتربة ، نحن فى حاجة الى ارهابى من طرازك .

– هل ترافقيننى ؟

– ماذا سأفعل هناك ؟

– سنرى اليابان ، انا ادعوك .

– أنت رقيق ، لكننى لا أستطيع .

– لماذا ؟

– انا عاشقة .

وكأنها طعنة باردة فى صدرى . سألتها :

– لمن ؟

– انت لا تعرفه .

وبكل سعادة راحت تشرح لى أن اسمه اكزافيه (بدا لى الاسم كريها) رجل وسيم .

همهمت : هه ! كنت اعتقد انك فوق كل هذه الاعتبارات المادية .

– ليس الجمال الحقيقى .

– ماذا يفعل فى الحياة ، مُدعى الجمال هذا ؟

– انه عبقرى ، رسام .

– دعينى اخمن ، سوف يرسمك عارية . أليس كذلك ؟

– كيف ، انه حتى لم يلحظ أننى موجودة .

– ياله من غبى !

– ساعدنى ، ارجوك .

تحب رجلا آخر وتريد ان اساعدها ، مصيبة كبرى .

- هل تريدين أن اذهب لأعلن له نارك المتقدة ؟

- لا ، أريد ان تصحبنى الى افتتاح المعرض

- أكره افتتاح المعارض .

- وأنا ايضا ، مثلما اكره عروض الازياء ، لكن هذا لن يمنعنى ان أصحبك لأؤدى لك خدمة .

- ليكن، فبم يخدم حضورى خططك ؟

- فى كل مكان نذهب اليه ، لا يرى احد سواك . ولن امر دون أن يلحظنى .

- أتعنين انك سوف تستغلين دمامتى لاثارة غيرته؟ .

- ليست عندى النية أن اثير غيرته ، انا عاشقة ، واريده ان يرانى

- اشرحى لى، لماذا وقعت فى حب رسام بهذا الغباء لدرجة أنه لم يلحظ وجودك .

ضحكت .

- عاملنى كغبية كما تشاء ، فأنا لم اقع فى الحب منذ أمد طويل .

فعلا ، منذ احد عشر شهر التى انهكت نفسى من أجلها ، لم أعرف عنها أقل شىء، بالتأكيد ، فهى لم تحك لى ذلك ابدا ، امكننى أن افترض لها بعض المغامرات الليلية ، ولكن لم يكن هناك شىء مهم .

لدرجة اننى تصورت ان الأمر عادى، وانها تخصنى . كان علّى ان اشعر بالقلق من هذا الموقف، اذا كان لديها قلب خرشوفة . إذا لم أملكها فسوف يشكل الامر كارثة حاضرة ، ايتل عاشقة . لعل هذا أمر طيب .

اى حمار كنت انا ! كان علىّ أن استغل هذه الاشهر الاحد عشر من

اجل ايقاظ غوايتى الشخصية ، على الاقل فى عدم قبولها للرجال بدون استثناء. كان يجب ان أكلمها عن هذه الغطرسة المهيبة التى لا يجرؤ أحد على خرقها. والفظاظة التى فيها لا يفتقد الانسان الاكثر ادبا الاظلام دوما، كان يجب أن اظهر لها دمامتى ، لأن الرجال الدميمين دائما قبحاء ، حتى لو رأت ذلك فى حالتى .

وبدلا من هذا ، ماذا فعلت ؟ لا شيء ، بددت وقتى ، وتركت نفسى تذهب الى انحدارها الطبيعى ، والقدرى ، والتأمل السعيد الغريب لحبيبتى ، سوف أدفع الثمن .

وجاء موعد افتتاح المعرض. كالعادة ، وجدت اسبابا عديدة لأكره هذا النوع من الحفلات ، سخافة التعليقات ، والوجوه المزيفة ، وفراغ الناس، والحقائق المهولة المخفاة وراء هذه التصرفات .

هذا المعرض هو الأكثر كراهية فى كل حياتى الوظيفية . اتفقنا ، اننى جئت هنا للمساعدة ، انه امر جاء متأخرا ، فكرت : «انه قانون الطبيعية فالمرأة العاشقة فى مرحلة متأخرة، وهذا يثير عصبيتى اكثر ، اولا لأننى وحدى ، ثم لأنها لم تتأخر قط فى البوح لى، وبدأت أرى جيدا ما يعنيه هذا..»

فى نفس الوقت قلت لنفسى ان الاستقامة هى من أدب الملوك ، ووجدت وحدى ان النساء يعبرن عن حبهن بطريقة لطيفة : « معى ، على الأقل ، كن بالغ الأدب » باللعزاء .

بحثت فى عينيها عن سبب عواطفها . وصل الأمر متأخرا ايضا ، قبلها.

لم أمتلك نفس اشارتها . ولكن ما أن دخل ، حتى عرفت أنه هو ، انه ينطلق ثقة وحضورا رائعا، عندما يدخل مثل هذا الرجل الى بنك او متحف او مطعم يجب أن يتعاملوا معه كأنه صاحب البنك، او المتحف ، او المطعم .

فى هذه الليلة البشعة ، بدا عليه أنه صاحب المعرض الفنى، وراح الناس يحيطون به، وهم يفصلون الكلمات التافهة السيئة التى كانوا يرددونها قبل وصول السيد . كنت مقروحا : كيف لفتاة نادرة مثل ايتل ان تقع فى غرام مثل هذا الرجل. لعلى سيىء النية ، ربما ، هذا الشاب جميل، وابتسامته تكشف اسنانا سليمة ، وحبيبتى امرأة عادية ، ترغب حيوانا جميلا ذا اسنان قوية .

ووصلت حبيبتى اخيرا ، ترتدى فستانا مدخنا يصل لشعرها المتناثر وقد تخلت عن سحرها ، ارتمت على ، دون ان تجرؤ على النظر لأى احد .

سألتها وهى تعانقني : هل هو الذى هناك ؟

– نعم على مسافة عشرة امتار منك ، قريبا من البار .

– هل رآنى .

– لا أعرف ، أتود ان اقدمك له ؟

– لا ، لا أرحمينى .

– هل تريد أن يراك ام لا ؟

– نعم ، لا، ليس الآن .

– أتعتقد انه من الأفضل اضعك فى موقف كهذا .. ؟

– أرى انك لم تكن أبداً عاشقاً .

انه انا الذى تقول عنه ذلك .

– لماذا تركتينى وحيدا لاكثر من ساعة الا ربعاً ؟

– كنت مجنونة ، أى ثوب أرتديه ، واخترت اخيرا هذا الثوب القديم، هل أبدو جميلة ؟

وأنا الذى تسأله ذلك .

– أنت رائعة ، انه لا يستحقك .

– شكرا .

– بوضوح ، ماذا تجدين فيه ؟

– انه رائع ، انظر ، أى فنان ! لوحاته تلتقط لها الانفاس .

انظر اليها وانا انتظر ، لم احس فيها بشىء بالمرة ، انا لا أبالى بالرسم الحديث .

– اريد كأس شمبانيا ، لكنه قريب من البار، ماذا أفعل؟

وفجأة شددتها من ذراعيها وسحبتها امام اكزا فيه :

– عزيزى الفنان ، هل يمكنك ان تقدم كأس شمبانيا لهذه المخلوقة المعجبة بموهبتك .؟

– بالتأكيد ، هل يمكننى ان اقدم لك أنت ايضا ؟ يشرفنى حضوركما الى معرضى ، اعتبرك فوضويا كبيرا، انت رائع ، لقد رأيتك لتوى ، ولم أجرؤ على محادثتك. طالما انك شرفتنى ، سوف اخبرك بحلمى ، فكم احب لو رسمتك .

– أنا ؟ يالها من فكرة غريبة . من الأفضل ان ترسم ايتل ، انها حالة استثنائية فى التمثيل .

– بالطبع ، بالطبع ، ولكن انت أولا .

– أنا مشغول ، يجب ان اسافر الى اليابان .

– افهم، اقدر قيمة الوقت لديك ، هل يمكننى ان اطلب منك ، انت الفنان

الشامل . عن رأيك فى لوحاتى ؟

نظرت حبيبتى نحوى ، متوسلة ، فأجبت بعصبية .

– لا يجب ان تطرح مثل هذا النوع من الاسئلة . انا فاتر .

– فاتر العينين ؟!

– لا فاتر للرسم يكفى ان اجد نفسى امام لوحة . لتكتشف انها عبقرية. وعلى اى حال احس بلا شىء ، اطلاقا .

كذبت على إيتل ، بشأن فتورى تجاه الفن الحديث .

– عجيب ما تحكيه ، لم يسبق لأحد أن قاله بنفس الجمال عن لوحاتى، كم أنا سعيد أننى استثير فيك هذا العدم المطلق !

بربرى ! إنه يتملك فتورى . ويجعله رد فعل ايجابى لفنه ، لجد هذا قويا شيئا ما، ولست متأهبا أن ألهمه اسلوبى فى التفكير بينما ايتل متأهبة. ربتت على ذراعى وكأننى حظها الاوحد أن استحق انتباه السيد، بشكل مؤثر، بدأت فى الاعتذار عن غياب مفهومها فيما يتعلق بلوحاته ، ثم وصفت اقل الدقائق فى عمله كما تحسها. انها مثيرة للألم ، والمشاعر ، ولو كنت مكان اكزافيه لمت من الفرحة والحب ، نظرت الى وجهها، انها تستعرض ، عبر ثوبها ما تعرضه عليه، زمجرت من بين اسنانى :

– انه لا يستحق .

أردت ان المس تفاهته من خلال ظهر سترته ، وأن أهزه . وأصرخ فيه. «اركع ارضا ، اركع ارضا عندما تكلمك السيدة العذراء ! » وشاعراً بالقرف اخذت بطاقة التعارفية التى بها عنوانه ، ودونت إحداثيات الملاك : وانت يأبله ، كيف ترتجف هكذا ؟ لم تكن له نبرته ، هذا يخرق العينين . اشرح لى لماذا لم تفتن ربه الجمال بآخر يفتقد الى أى نوع من القبول ، لعلى قبيح

لحد الصراخ، لكننى اجد نفسى أكثر جاذبية الف مرة من هذا التمثال المتغطرس .

كنت فى حالة مزاجية كريهة عندما استدار هذا المختار نحوى بشكل غير متوقع : «بعد هذه التى فهمتها على الطبيعة ، كم أنا فى حاجة ان أجد المتحدث الحقيقى» ... طرح علىّ سؤالا لم اسمعه قط . وكلى اجترار غاضب، هذا الظلم المطلق ، الافتراضى، الذى يستحيل النضال ضده . صمت رهيب يعنى لى أنهم ينتظرون اجابتى ، فأمسكت الكلمة بالمصادفة تاركا فمى ينساب ، كاللعاب وجاءتنى الكلمات الاولى كالوحى :

– إنها الأفلام الاباحية ، الاباحية الممتازة لأن فيها تفسيرات شاملة لعصرنا، ما هى الاباحية ،؟ انها اجابة فاقدة الشهوة للعالم الذى نعيش فيه. لسنا جوعى لشىء ، وليست لدينا متاعب ، لأننا نرى بشكل سيىء ما نستطيع أن نرغب فيه، فأعيننا وآذاننا ايضا أكثر اتساعا من امعائنا. والاباحية يمكنها ارتشاف صورة الرغبة عند من لديهم اشياء كثيرة . اليوم فإن الفن المسيطر هو الاباحى، انه الوحيد الذى يثير الانتباه ، ويمتص الشهيه المزيفة ، ونحن، كيف نتصرف بهذا الشكل ؟ لقد اخترت شكلا متقشفا ، لمعرفة البرودة المباحة – . لم ارغب فى شىء لأننى أحس شيئاً . فالجمهور مسئوليته فى هذه الاباحية : إذا لم يكن هنا شىء لإثارة التهيج فالفنانون لن يستمروا فى ممارسة ما يعتقدون انه يعجبهم .

واكملت بتعبير خطابى ، واضعاً فى الحسبان ان ايتل واكزافيه ينظران الىّ بعمق شديد وأشك ان اجابتى غير مقنعة فى المسألة

المطروحة. ملولا، اراهن على وجه السرعة بأخذ اجازة مفاجئة واخرج مع حبيبتى .

– ما الذى ادخلك فى حديث فلسفى عن الاباحية ؟

– إنها مسألة مطروحة علىّ ؟

واقترح علينا أن نذهب لنأكل المحار معه فى المطعم .

وبعد أيام ، خابرتنى الجميلة فى الهاتف ، وقد انقلب حالها :

– خمن ، مع من سوف اتعشى هذا المساء ؟

– مع رسامنا الكبير .

– اجل . لقد هاتفنى ، كم أنا سعيدة ، ! أنا مدانة لك بكل هذا ، لم يكف فى الكلام عنك .

– انه فعل مجنون ، كان عليك ان تسأليه ان كان يرغب فى العشاء معى.

– يرغب بالطبع ، اخبرني انه انبهر بطريقتك البالغة النعومة، اذا اردت نصيحتى ..

– كفى ، كيف يمكنه أن يعجب بك ؟ اعرف انك لست شاذا ؟

– أنا لا أحكم عليه من الناحية الجنسية ولكنه، لا يعجبنى على المستوى الانسانى.

– أرجوك ، لا تفسد كل شىء ، أنا بالغة السعادة ! .

– هل ستنامين معه ؟

– الى اين تذهب .. انت لم تكلمنى قط هكذا .

– لما هذا الخبث ؟ انت خصبة لفكرة ان يضاجعك !

- لست مضطرا أن تكون سوقيا .

- الا ترين ان هذا الشاب دعاك للعشاء لهذا السبب ؟

- من يعرف ؟

- أم تتخيلين انه للثرثرة .

- هو ساحر فى كل شيء .

- افهمينى ، حوارك لذيذ ، ولكنه سوف ينفلت، فى حفل الافتتاح لم يسمع كلمة مما قلتيه ، سيغريك بنظراته ، وسوف يلعقك .

- أنا بالغة، واستطيع الدفاع عن نفسى بدونك .

فى اليوم التالى ، هاتفتنى ، وأعلنت انها على وشك الموت، من السعادة فقد كان اكزافيه اكثر الرجال سحرا ، سألتها بصوت بارد :

- هل نمت معه ؟

- ضحكت بعمق :

- نعم ، نحن عاشقان، كان هذا رائعاً، قال لى أشياء جميلة، أنا مولعة به.

أخرجتنى مثل هذه الخزعبلات من دائرتها ، تمنيت لها الكثير من السعادة ثم وضعت السماعة على وجه السرعة .

وبعد ذلك، خابرت منظمى انتخابات ملكة جمال العالم، واخبرتهم بموافقتى ان اكون عضوا فى لجنة التحكيم ، فصفقوا لى ، وسألتهم عن وسيلة السفر الفورية الى اليابان .

- لكن يا سيد ، نحن فى أواخر ديسمبر ، عليك ان تنتظر العاشر من

يناير .

– سوف ادفع ثمن غرفة فى الفندق .

– ليست هذه هى المسألة ، كانازوا مدينة صغيرة فى شمال هونشو، لا يحدث فيها شيء ، ماذا ستفعل هناك وحدك ؟

– حلمت دوما أن اصبح حجرا فى اليابان ، من ناحية اخرى، أليست هناك وسيلة لتنظيم هذه المسابقة فى مكان ابعد ؟ تسمانيا ؟

بدا أننى افاجئهم ، ووافقت علي الرحيل فى التاسع من يناير ، نحن فى الثامن والعشرين من نوفمبر . ياله من كابوس ! فقضاء المسافة بين عامين يمثل لى مأساة، هذه المرة سيكون الامر اشد . ١٩٩٦ كانت السنة الحاسمة لوجود دمامتى والتى اوقعتنى فى الحب الى درجة الجنون ، بالاضافة الى اننى صرت مشهورا ، يجب ان اترك هذه الالفية العجيبة كى اعيش فى مكان آخر. يبدو انه يخلو من شيء جيد .

كان الأمر الاكثر رعبا، كما اتفقنا، ان ايتل راحت تتصل بى يوميا من أجل ان تحكى لى ، تبكى ويجب أن أواسيها ، او قد تكون سعيدة ، ويجب أن اخفف من لهفتها ، يا إلهى !

حاولت ان اتعقل ، ماذا يمكن لهذا ان يفعل بى ؟ لم تكن فى أول تجربة عاطفية لها ، فقد فقدت عذريتها منذ وقت طويل ، ولم يكن هذا سوى حدث عابر ، مما يعنى ان حبيبتى وجدت نفسها نصف ميتة ، فهى بالتأكيد لم تتغير ...

لم يكن لدىّ الحق أن أكون غيوراً لو قررت ان ابوح بحبى الى الجميلة، وأن استلهم منها المزيد ، لم تكن هذه نيتى . كان يجب أن اكون مجنونا ولم أكن مجنونا .

فكرت ايضا اننى لن اجرى حوارات مطولة مع ايتل حتى لا تنقطع، حيث حددت الموضوعات الاكثر تنوعا ، وخلالها اشعر انها تنتمى الىّ . الآن .عندما أراها ، احب ان اتكلم عن الحب ، عن حبها . وأن تحكى لى عن اقل الوقائع والحركات لمعبودها اكزافيه ، تشرحها لى وتفسر الى أى حد هى من المعجزات ، والاشياء التى ليست لها مثيل ، وما الى ذلك . لتكن حبيبتى غبية: انه أمر طبيعى.

اسرنى هذا المنظور ، اننى وعدت منظمى مسابقة ملكة جمال العالم أن اطلب منهم حجز تذكرة سفر ، وليست تذكرة سفر وعودة .

– سوف اقضى حياتى فى كارنازوا ، أحب هذا المكان .

– أنت لم تذهب إلىّ هناك قط .

– طبعا ، ولهذا احب هذه المدينة .

وشرحوا لى أنهم حجزوا لىّ تذكرة ذهاب وعودة ، فهى ارخص .

– سيكون من الافضل عدم استخدام التذكرة فى العودة ، لكن تصريح الاقامة بالغ الصعوبة فى اليابان .

ووضعت السماعة كارها هذا العالم ، حيث يستحيل على القلوب المحطمة أن تنفى نفسها .

وكانت الأيام الأخيرة من عام ١٩٩٦ دنيئة ، سبحت حبيبتى فى سعادة غامرة ونالت كل ما كنت اعرفه من التفاصيل الدقيقة ، وليست فى ذهنى فكرة مراجعتها انها فى هذا المنظر الافتراضى عاشقة مبتدئة ، تبدو بالغة الوهن وفى قمة الانتصار ، إذا لم أكن فقط أعز اصدقائها .

لم أكن اعرف عنوانا لى فيما قبل ، لم يسمنى احد، لم يكن لدى سوى

عينيها كمكان محدد ، انشغل به دوما ، وهى لم تحدده لى قط ، وكان هذا افضل ، فالأحلام المؤجلة لم تتحقق بعد .

بلا أى شك، ليس هذا بسبب اكزافيه ، فأنا اتخيل المشهد، يجب أن اسألها عن طبيعة علاقتنا بالضبط ، مشاعرها نحوى ، لقد فكرت بلا شك، قبل أن ترد: «ابيفان .. أنت اعز اصدقائى» .. واتعشم أن أحصل على ضعف ما استحق من البراءة القليلة المتبادلة (التى سأتجاوزها) وان اصب عليها كل الاعجاب الذى تولد من ناحيتى تجاه مدعى الجمال.

حدث هذا فى التاسع والعشرين من ديسمبر لهذا التصريح المبهم . جاءت ايتل تحكي لى عن سعادتها مع الفنان الكبير الذى لم يكن يرتدى ملابسه الداخلية.

– أنت لم تفهم ابدا ، ابدا .

– هذا شيء منفر .

– لا ، إنه ساحر .

– إيتل . لماذا تقولى لى هذا ؟ انه أمر لا يعنينى .

ظل الهاتف صامتا بضع ثوان قبل أن ترد علىّ :

– لأنك اعز اصدقائى .

فاهت بهذه العبارة المرعبة بكل صفاء . ولو لم أكن فارسا ، فسوف أخابرها أننى لا أريد صداقتها، خاصة إذا كان هذا يحكم علىّ ألا أجهل شيئا عن خصوصيات منافسى ولكن هناك ما يمنعنى دوما أن أكون فظا نحو معبودتى وتبينت الموقف الذى انتظرته هي ، قلت بصوت مرتبك :

– أنت تسيئين فهمى .

ردت برقة ملحوظة : هل ترتاب فى شىء ؟

اجبت : بالطبع لا .

ثم سكت .

– انت أعمى ! ووضيع، وغير قادر على تخيل الاحتقان الذى تمثله .

قلت وأنا ارتجف :

– على العكس ، أنا اكثر غرورا ، تخيلت انك تحبينى الحب المجنون .

وانفجرت ضاحكة :

– أنت رائع !

وبصوت واضح :

– عندما يعلن رجل بالغ الدمامة لامرأة فائقة الجمال أنه يحبها فالامر لا يتعدى المزاح .

– كم أنا محظوظة ، أن أكون معشوقة وصديقة لاكثر العشاق سحرا فوق البسيطة .

رددت بحذر: هذه صيحة انتقامية من السماء .

– لقد اخذت هذا فى الحسبان . واتمنى الا يكون هذا المدخل السعيد بداية لمأساة .

– بالطبع ، بقوة، المأساة اننى سوف اسافر فى التاسع من يناير الى اليابان . بدونك، سوف افتقدك ! إلى من سوف تتكلمين عن هذه الملابس الداخلية التى تختارينها ؟

لم تعلق :

– ٩ يناير ؟ حسنا ! يمكنك أن تحضر العرض الأول للفيلم .

– الانتحاء المتلاشى؟.

– نعم، هناك سهرة فى دار العرض، فى السابع من يناير، تعال لتساعدنى فى تحمل هذا العمل الوضيع.

– أعتقد ان اكزافيه سيأتى ايضا

همست: طبعا.

كان فى صوتها شبحه، أحسست بالشفقة عليها، ونبرت بصوت أعلى عكس من خوفها:

– طالما أنك لن تهبطى اثناء هذا الوقت.

وانفجرت فى ضحك غريب .. أثر فى شغاف قلبى.

فى اليوم التالى، خابرتنى مجددا.

– لا . أيتل، لدى ما يكفى من المكالمات. اريد أن اراك، منذ أن كنت مع أكزافيه تكفينى بصوتك، وتحرمينى من وجودك. أنا اعز أصدقائك، لدى حقوق والح فى رؤيتك.

– سوف آتى..

فيما قبل، كنت «حلوا» بالنسبة لها، كنت أرتدى أفضل الملابس ثم تراجعت، يجب أن اتشجع، لن أغتسل، سأبقى فى مكانى القديم يملؤنى الاهتمام، تركت التليفزيون يشتغل.

دخلت علىّ فى أقصى حالات جمالها، وشحوبها:

– أنت فى حال سيىء.

قلت: لم أنم.

ظللنا للحظات واقفين أمام الباب. اعلان عن الفوط الصحية المعجزة التى

يمكنها أن تمتص كل شيء والتى تسحبنا من معاناتنا، أطفأت حبيبتى التليفزيون.

– عندما أرى هذا، أشعر بالخجل اننى امرأة.

وانفجرت فى النحيب.

قاطعتها: سوف اكتب الى هذه، الفوط العجيبة. أريد أن اخبرهم أن إعلانهم دفعك الى البكاء.

وضحكت وسط دموعها، صار لدىّ الحق أن اغوص بداخل المأساة ، فى الأمس، طلبت من المغفل، إذا كانت سوف تصحبه الى العرض الأول للفيلم وأجابها انه ضد كل مبادئه أن يعطيها اتفاقا مسبقا لفترة طويلة.

– ماذا تعنى؟ وماذا تسمى هذا؟ وقت طويل.. وبكل وضوح.. يعنى هذا أنه ليس واثقا أن يكون معى خلال اسبوع.

فكرت أن هذا الشاب الغبى مزدوج الغباء: لأنه، إذا كان لديه مشروع أن يهجر حبيبتى قبل السابع من يناير، فعلينا الموافقة على اقتراحه. وفى حالة القطيعة، هل يمكن الغاء التوكيل؟ ترى كيف نتصرف مع هذا الفظ؟ كنت على وشك أن اطرح عليه السؤال، ودفعتنى الشفقة والغباء لهذا التعليق:

– لنرى ياتيل، أنت تهذين؟ انه لا يريد ان يخبرك بشيء كهذا؟ فالعاطفة أصابتك بالتوهان.

– ماذا يريد أن يقول أيضا؟

– حسنا، ما قاله انه لا يحب عمل المشاريع، انه نوع من الرجال الذين يودون أن يعيشوا اللحظة.

لم ألحّ قط اليه، ليس فقط لأننى أدافع عن منافسى، ولكن لأننى ألعن كافة ما يربطها به.

سألتنى حبيبتى:

- فيم يمنعه هذا من مصاحبتى الى العرض الأول للفيلم الذى مثلت فيه الدور الرئيسى؟

- انه فنان، وهو لا يحب أن يحس بارتباطات، ولا بتواريخ.

- ماذا نقول؟ لقد ـــد موعد معرضه، ويقيم المواعيد على شرفه.

- هذا ما أقوله، انه انانى مثل كل المبدعين.

- هل ترى أن هذا اعتذار؟

- لا، ليس هذا فقط، أنت تحبينه، يجب أن تقبلى أخطاءه.

ونظرت الىّ فى تمعن:

- هل تقول هذه الغباءات لتدافع عنه، من أجل ما يجمعنا من الذكورة.

أردت أن أواسيها: فجمعت كل ما لدى، أنا المتهم بأن أكون متضامنا مع هذا التافه، باسم الذكورة؟ أنه أمر أقل خطورة.

- اسمعى وسأحاول أن أكون لطيفا.

- لا أسألك أن تكون لطيفا، أسألك أن تساعدنى فى الرؤية الواضحة.

- كما أن هناك أيضا امراً غامضا، ليس فى حياته أحد.

- هل تعتقد أنه يحبنى؟

- أتعتقدين أننى الشخص الأكثر غباء لأرد على هذا السؤال؟ هو الذي يجب أن يطرحه.

- لا أستطيع.

- الأمر لك.

- لقد فقدت القدرة على الحكم. أنت موضوعي . أنت تعرف كافة تفاصيل حكايتنا.

– لا، هذا أمر سخيف. لا أريد هذا النوع من الحديث، فهو لا يهمنى.

ولمعت دموعها التى جففتها من جديد على أجمل ما يكون، أن ترى المرأة التى تحبها تبكى. تراها تنتحب من أجل رجل آخر، هذا فوق قدراتى خضعت لحبى وأمسكت إيتل بين ذراعى.

– نعم، انه يحبك! هذا أمر يخرق العينين.

ونظرت نحو السماء بمجرد أن فهمت ماذا يعنى «أنه». أجابتنى بصوت مخنوق:

– هل تعتقد؟

– أنا متأكد.

وضممتها بقوة وصار فى إمكانى أن أعلن عن لهيبى لحبيبتى، بطريقة متوارية. بالتأكيد، لكنها متحررة، تركتها تحس بانسياب روحى، يكفى أن نتكلم عن شخص ثالث، مثل يوليوس قيصر ، وكأننى شخص آخر، هذا التصرف الجديد لم يشكل لى أية مشكلة.

– انه يحبك، مريض بك، سكران بجمالك، ولا يفكر سوى فيك، ولا يعيش إلا من أجلك، لا يشعر بالسعادة إلا عندما يضمك بين ذراعيه، وعندما يبتعد عنك يحس أن دانة مدفع تفرغ رأسه.

يجب أن استمر لأطول فترة ممكنة، كان هذا أمراً سهلا للغاية. يكفى أن افتح فمى ليتدفق هذا الفيض من الكلام الذى لا يتطلب سوى الخروج من الفم.

سمعت الصوت المذهول للشخص الذى خنقته:

– كيف عرفت هذا؟

– لأن هذا واضح للعينين.

العيون، وطبول الأذن!

ظلت ساكنة بين ذراعى، تائهة من النشوة، وهذا هو عملى.

– أخبرنى .. حدثنى عن أشياء تخرق العينين. إذا كان هذا جيداً انها تطلب المزيد! سوف ترى، وبدأت أرى الكلاب مجددا.

– انه واقع بين حاجتين متناقضتين، إما أن يرمى نفسه تحت قدميك متعبدا لك، ويبوح لك بكل المشاعر التي يكنها، أو أن يقتلك، أن يؤذيك كى يناضل ضد كل ما تلهمينه إياه. فحبه لك يصيبه بالانحناء فى نفس الوقت الذى ينشب فيه مخالبه. ولهذا فإنك تؤلميه وتغريه لأقصى درجة.

وفجأة صدمتنى فكرة أننى اكلمها بلسان رجل آخر، فسكت، وجدت هذا أفضل، لأننى فى حالة تجاوزها ادراكى الخاص.

واثناء عناقي لها، رددت إيتل هامسة: كم يحبنى، وكم أنا عمياء! طبعا!

حررتها من بين ذراعى، وتركتهما خاويتين. قالت:

– عرفت دوما أنك ساحر، نسيت ليس هناك وجه مثل وجهك، حتى وإن كان مختلفا عن الآخرين. انت ترى الناس من أعماقها، أنت لم تقابل اكزافيه سوى مرة واحدة وفهمت من هو، أدركت انه يحبنى.

إنها لا تؤمن بما تقوله. هل نسيت ما بحت لها به فيما يخص هذا التافه فى اليوم التالى من افتتاح المعرض؟ رغبت أن أفقد قدراتى الإرادية التى يتسم بها بعض الأشخاص، حتى النعامات ليس لديها اسبابها لفقدان البصيرة.

أنسالت على الأريكة وكأن حبيبتى قد بلغت السماء السابعة.

– لم أكن سعيدة أبدا فى حياتى مثلما أنا الآن.

وأنا الذى وضعتك فى هذه الحالة ! فذلك الذى نام معك لن يمنحك مجد الكلمات مثلى، فكلماتى أفضل من قضيب خصمى؟ .

- بدونه ياابيفان، تجاوزتنى أشياء كثيرة. هل تتذكر حالتى عندما وصلت هنا؟ وهل ترى كيف أنا الآن؟ كم أنا مدانة لك، أنت أكثر من أن تكون أعز أصدقائى، أنت أخى.

أسعدنى هذا أكثر، فمع الاخ، على الأقل تصبح المحارم ممكنة.

وكانت فرحتى قصيرة العمر، فقد هرولت أيتل لتلحق بعشيقها. تذهب من جديد لمباركة الاضطرام الذي أحسسته فيها. مرجريتا ولحم خنزير.

وقضيت آخر يومين من عام ١٩٩٦ أمام التليفزيون حتى لا أستطيع معايشتها كان هناك براج بشعة: إنها تجميع لأحداث السنة، جثث بنات صغيرات، لاجئون من زائير يموتون بالآلاف، فضائح جنسية، يجب أن أكون مجنونا لأشاهد كل هذا. وانتهيت بأن أصبحت مجنونا.

جاءتنى الفا بطاقة دعوة من أجل ليلة رأس السنة، ورفضتها جميعا متعللا أننى يجب أن أقبل دعوات أخرى.

أردت وأنا وحدى أن أقدم لنفسى هدية طالما حلمت بها منذ طفولتى، لعبة الحبوب. فبعد ظهيرة الحادى والعشرين من ديسمبر ذهبت لشراء بعضا منها من الصيدلية. وانبهرت بجمال العلبة، وغموض حروفها الهيروغليفية. وعندما عدت الى المنزل، فتحتها. كان هناك فيها ما يكفى أصابة جمل بالصمم.

وحان الوقت، فنزعت عن اثنين منها أغطيتها الواقية، وكشفت غلطات

عجائن اللوز المصبوغة باللون الوردى. ولأننى احترم التعليمات التى على العلبة قمت بتسخينها بين أصابعى وأدرتها فى راحتى، ثم احتفظت بها مثلما يتأمل اليائس مسدساً.. ووضعت الحبوب فى فمى كأننى مقبل على الانتحار.

وبكل صفاء، غمستها فى جهازى السمعى، وحدثت معجزة، لقد اختفى العالم من حولى. وخمنت الحقيقة الوحيدة الموجودة. فى البداية، بدت المشاعر غير رائعة، وبعد عشر دقائق لم يكن هناك أى أثر لهذه الموجة المؤلة، لم يكن هناك سوى وحدتى الزاهدة فى البذخ.

نمت مع «دير بارم»، أحد كتبى المفضلة، وسرعان ما لاحظت أننى غير قادر على القراءة، فقد غطت الضجة المنبعثة من جسدى على أصوات كتابى المفضل، وفى الحقيقة فإن حالتى أسفرت عن نتائج كثيرة، وصار من الصعب تركيز انتباهى نحو أى شىء خارجى.

صنعت جدارى داخل نفسى، إنها مشاعر غريبة. أطفأت الأنوار، كى أتمتع أكثر، وتصفحت صممى، ملحقا بها عماى، وأصبح العطاء كفنا، لقد دفنونى حياً، كأننى فى مقبرة.

انتابت روحى مشاعر عجيبة: لقد حللت بالمشاعر قوقعة معدتى: وانسداد دورتى الدموية وأصوات أخرى غير مفهومة. حيث راحت أبواب تقرع، وخفق قلبى كقنبلة تأخر انفجارها. بدا لى أننى لم أعش قط مثل هذه المشاعر المختنقة الإرادة.

تساءلت فجأة بكل معاناة إذا كانت الكرات قد قتلت ايتل فى مخى، ولكن لا أستطيع أن المحها عبر أخدود زنزانتى، مثل فابريس عندما قابل كيليا فى السجن. لم يعد ينقصنى شىء فى محل إقامتى الجديد.

لم أستطع ان استعرض، لوقت طويل، الألغاز الغامضة لجبل الأوليمب، هذا لأن الفتور لم يتأخر فى تغطيتى بالرصاص، أنا الذي نلت شهادة فى الأرق، نمت، وغصت فى ظلام النوم بشكل عميق غير معهود، أوعزت لى كرات الحبوب الوردية أننى قد تجولت في كل أنحاء العالم، لم أعرف هل كانت الغيبوبة لذيذة؟، ظللت فيها لمدة اثنتى عشرة ساعة.

وعندما استيقظت، حدثت كارثة، فنحن لم نعد فى عام ١٩٩٦، كيف يمكن للزوجة المتوفاة أن تبدو أجمل من الشابة التى تعتقد انها قد اختفت! ١٩٩٧ عام جديد، طازج، انه عام شديد الليونة.

فتحت الستائر كى أرى بعينى السنة الجديدة، ليس هناك شيء جديد أمام الأنظار، الشوارع خاوية، والمارة القليلون يرتدون زى الحداد. سوف يصبح العالم أرمل.

هذا الطعم الغريب لأول يناير أمر به كل سنة، بالتأكيد، هذه المرة أكثر، كان عام ١٩٩٦ مرعبا بكافة الاعتبارات، ولكن بالنسبة لى، لى وحدى، فهو مكسو بملامح حبيبتى.

أمام الهاتف ، بدا الموقف مثيراً للقلق، لا شيء أكثر صعوبة من أن تواجه خصما بلا موهبة، ويصبح العدو لا شيء ، كانت مراسالات الحرب تناديني دوما، وتحكى لى بعض مقترحات مدعى الجمال: انها ليست سوى بعض الأمور الفظة التى تترك فراغا ومكانا للفظاظة. لم تكن لاكزافيه أى حصانة، أو عبقرية فى خشونته التي تحس فيها بأى شيء مما تريده، أو تعيه. تصنع كل واحدة شارة الروح الثقيلة التى لا يمكنها تقديره، مثل هذه الأنماط لم تعط للمعاناة أى قدر من الإعجاب المألوف بكيان غريب تجاه الحب.

أما أنا ، فعلى العكس ، تلزمنى كنوز من المشاعر الرقيقة كى أتمكن من الوصول إلى ابتكار شعور يخص أفكاره المجردة، والحالة التى تستدعى أن نعتذر لها.

احس دائما أننى رفيق مزدوج لمدرس جيد. ليس من النادر أن تسأل حبيبتى لماذا يردد كبار الفنانين الكثير من الأشياء المأسوف عليها. لقد اخترت هذه أو المسألة التى تجيد فهم العالم وترد: «لقد حدث هذا».

انها تعجب بى: «أنت تعى جيدا ان الحياة مؤسسة، لا اعتقد أننى عائد من حزيرة مهجورة». هل تجهل أن حالتى الجسمانية حبستنى فى جزيرة منعزلة طوال عشرين عاما؟ ولكن، صحيح أن هذه الحالة سمحت لى أن أرى فيها كافة السمات الإنسانية. لا شيء من هذه الاشياء غير مرغوب بشكل عميق لمعرفة الى أى حد يغضب الناس منك. ايتل، جميلة مثل عذراء جيروم بوش، لم تكن لها نفس السمات التى تبدو فى التباين الكامل الذى يتسم به البشر ممن يشبهونها.

لقد عزلتها طيبتها أكثر، وهاهو العرض الأول للفيلم يقترب: وعلى الممثلة أن تقابل بعض الصحفيين. ويجب أن ترى مع من ستتكلم عن هذا العمل الذى أعرف تماما كم تكرهه. لقد تحمست لـ«موهبة» المخرج ومنحها «فرصة عظيمة» بأن جعلها تعمل معه. وإذا كانت قد حصلت على نسبة مئوية فإننى اشك أنه سيكذب عليها، لأنها تكذب بشأن اللطف النقى البسيط، وليس لديها شيء تكسبه أو تفقده، لا كثير أو قليل، انها ليست ملزمة أن تلتفت للمديح الخالى من أى قيمة.

كنت غير قادر على الصبر أو الهرب من قصة الحب هذه. واستلمت تذكرة السفر إلى اليابان، وتأملتها فى تلذذ.

فى أمسية السابع من يناير، وافق الفنان على مرافقة عشيقته الى العرض الأول للفيلم «المصير الإنسانى للانتحاء المتلاشى» اذن فأمامى وقت لرؤيتها. أقبل نحوى كى يعطينى إحساسا أننى أعز أصدقاء العمر ، كان يضع نظارة سوداء ويندهش أننى فقدت أهليتى. أجابنى بنبرة ماكرة:

- بالنسبة لى، يلزمنى غطاء رأس رهبانى.

صرخ ضاحكا، مستمتعا بحالتى النفسية، لاحظت أنه يرفع الكلفة بيننا، وهذا أمر بشع بالنسبة لى، قررت ألا أبادله موقفه.

- ألا تخاف أن يعرفوك؟

هززت كتفى:

- سيتعرفون علىّ. إنها مشكلتهم وليست مشكلتى.. «طظ».

- أنت على حق، فى الحقيقة ، يكفى أن تولى الأدبار. أنا مثلك.

ورفع عويناته السوداء، لكن لم يتعرف أحد عليه فى الأمسية، حتى لا يسبب الكثير من الارتباك، بدت ايتل رائعة وسط هلعها، هى الوحيدة التى بدت مدهشة: نظر المخرج إلى المتفرجين المترقبين باحتقار، وكأنه يفكر أن الجمهور شر لابد منه. قال لها:

- تخففت وأنا فى غير صحبتك. عندما قابلتك، لم تكونى شيئا . الآن أنت نجمة عالمية، لو مثلت فى افلامى ستصبحين آلة لدر الأموال، سيهرول الناس من أجل مشاهدتها، هذا أمر يستوجب الإخلاص.

جلس اكزافيه على يمين حبيبتى وأنا على يسارها، وبدأ العرض. واستندت الممثلة الأولى على أيدينا، سحب الفنان الكبير يدها، بدا غير مرتاح، أما أنا فقد انتهزت الفرصة كى احتفظ براحة ايتل فى يدى.

همست في أذنه: كم من الوقت سيستغرق عرض الفيلم؟

- ثلاث ساعات إلا ربع.

تمتمت: مرعب!

فطيلة حياتى كمشاهد، أننى أحصر عدد الأشياء التافهة، لا شيء إلا من أجل رؤية النجمة التى تعجبنى، وإذا كان السيناريو سيئا، فأننى لا أشعر فقط بالملل لرؤية حسناء، اركز عليها فلا أنظر إلى شيء آخر.

وهكذا، كان «الانتحاء المتلاشى» سببا مقدسا كى يعجبنى، ثلاث ساعات إلا ربع من صور محبوبتى، انها الجنة المؤكدة.

وأمام هذه المائة وخمسة وخمسين دقيقة، لم يكن هناك سوى خمسين رأيت فيهما البطلة. هذا يجعل مائة وخمس عشرة دقيقة على الأكثر، قرابة ساعتين من الحثالة . هذا كثير.

ثم، بالاضافة إلى الخمسين دقيقة لايتل، لم يكن هناك سوى عشر دقائق يمكن التعرف عليها. وأثناء الأربعين دقيقة الأخرى، صورها المخرج بصورة يصعب تحديدها، وكأنه لم يعن بجمالها.. هذا أمر سخيف كان عليه أن يختار ممثلة قبيحة.

وأخيرا، فإن الدقائق العشر التى لم يستطع المخرج أن يخفى فيها أناقة حبيبتى كان يعانى من مشكلة كبيرة فى المونتاج: همست فى أذن جاراتى إذا كان المونتير قد أصابته زغطة حادة، أجابتنى أن المونتيرة كانت مريضة ولذا فإن المخرج أراد هذه التقنية. ورحت أمزح بقوة: يبدو الناس ساخطين لأن المشاهد شديدة المأساوية.

ووجد مدعى الجمال رد فعلى أكثر تعقيدا.

بدا منتبها للحظات، اما باقى الوقت فكأنما غلبه النعاس وسمعناه

«يشخر» فى الصالة، وبدت ايتل كأنها تثيرا التعاطف معها.

ظللت وفيا لشخصى، وهمست لها:

- سامحيه ، فالفيلم مرهق، وهذا ليس خطأه.

كررت وهى مكفهرة: فعلا، الفيلم مرهق.

كان السيناريو غائبا، حاول المؤلف أن يخفيه وراء المشاهد المعقدة والحكي الخادع ، وبأسلوب يمكن للمشاهد الساذج أن يحس بغباء أنه لن يفهم جوهر الموضوع.

أما الحوارات فكانت نادرة، وهذا أدعى للسعادة. لأنها تعبر عن العدم الذى يرضى غروره.

كانت الموسيقى غريبة المسمع، فتمنيت لو لم تكن فى الفيلم، كثير من الملل وشديد العمق، يمكن تصنيف العمل كفيلم جمالى، وهذا شىء نبيل، لكن «الانتحاء المتلاشى» أشبه بالألغام التى فجرت الامكانات الأخيرة لاحترام ما يمكن الاحتفاظ به.

وأخيرا فالشىء الأكثر جسامة، هو الصور التى أفقدها المخرج حسها الجمالى. وأنا أفهمه فى ذلك. ماذا يريد أن يقول «لا شىء» نمطى بدون سمات، وبلا أسلوب، والتقويم صفر، ولم أفهمه أيضا، لم يود أن يفعل شيئا وهذا مالم أفهمه، ألم يكن من العقل لو لم يعمل أساساً وألا يخرج هذا الفيلم؟

بالنسبة لنوع الصورة فى الفيلم، فإن أى كاميرا فيديو تسجل وقائع عيد ميلاد يمكنها أن تكون أكثر إقناعا وإبهارا، فهذا النوع من التبسيط لا يعجبنى، ثم لماذا هذه الظلال الملونة والديكورات الغامضة؟، وهذه الثمانين لقطة لكل مشهد، وأساليب الابهار، هذا للوصول بالصور الى شكلها غير

المفهوم. مهما كان الأسلوب الذى تتصافح به الأشياء، فإن هذا الفيلم الروائى لا يمكن الدفاع عنه. فى نفس الوقت، فإنه يرد علىّ بجفاء لأسباب لا يمكن أن احددها بنفسى، هناك مشهد الثور الذى يظهر اكتشافى لإيتل، فقد تجاوزه المخرج بشكل جمالى وهى أمور لم تغضبنى ، أمسكت يد حبيبتى وكأنها فى أهم لحظة فى تاريخ السينما، فابتسمت لى.

هناك أيضا لحظات، التى رغم ما بذله المخرج، فإن جمالها ساد الشاشة، إضاءة الفيلم كانت بالغة القبح، خاصة اثناء مشهد المصارعة التى منعت فيه من المرور الى حلبة قاسية، فاعتقدت أننى فى غنبر الجراحة. لم يفهم أحد سر هذا النوع من مصابيح النيون. لكن وجه البطلة كان له أضاءته الداخلية التى سادت المشهد. ووجد وسيلة تتألق عبر العديد من الفظاظة.. مثل وميض ذاتى، على طريق عذراء ميملنج.

هذه اللحظة من اللطف شكلت صاعقة، راحت تنسكب نقطة تلو النقطة. لم يستمر الأمر سوى ثوان معدودة. ولكن بالنسبة لعينى، فان عملا يجب أن نصدر عليه حكما، مائة وخمس وستون ثانية قبيحة ورديئة، مقابل عشر ثوان رائعة مثلما يحدث فى الواقع الإنسانى. سبعون عاما من الحياة مقابل أسبوع متعة.

لم تكن نية المخرج ، بدون شك، هى الكشف عن هذا التناقض، احتفظت لنفسى بالحق الا أضع فى الحسبان عملية الاخراج، أو أن الخص رأيى فى العمل، وأن أكون وسطيا، لكن «المصير الإنسانى للانتحاء المتلاشى» اشعل فى داخلى حماسا ما.

وما أن انتهى العرض، حتى صفقت بكل قوة، لكننى الوحيد الذى صفق. قال لى أكزافيه بأن حماسى قد تيقظ: كم أحب رد فعلك.

ساد القاعة صمت رهيب. وأصاب ايتل، فى عينى، نظرة رعب، فهى لم تجرؤ ان تتجه نحو هذا المخرج الدعى..

قام الناس من حولنا، مرهقين، لقد أنهكهم الفيلم تماما، كانوا فارغين. أصابتهم الدمامة. حاولت أن احلل ردود أفعالهم. لاحظت أن مظهرهم اليائس يخفي معاناة بلا اسم. لم يعرفوا إن كانوا قد أحبوا أو لم يحبوا ماشاهدوه لتوهم، لأن هذا المخرج كان له نصيبه من جنون السينما.

اجهضهم الخوف من الفشل واعلان نظرتهم المعارضة لما يجب عليهم رؤيته، فمن المهم ألا تنطق بجملة صعبة لعدة أسابيع، الى أن يكتب النقاد وجهات نظرهم، وهم يعبرون عن صدمتهم.

ووسط الترقب. بدا الكثير من المخاطر تجاه الاعجاب بفنان قام بالاحجام عن اظهار رؤيته فى عمله، فليست هذه فقط مسألة شجاعة، انه بحاجة الى الكثير من الجوهر ليكون قادرا على احترام المشاهد، أو بالاحرى ليحدد (فكرته) التى عليه ان يقدمها. لكن أغلب الناس يمتلكون ، فى اعماقهم، القليل من الجوهر، ولهذا فهناك وسط هذا الجمهور الكبير قليل من المعجبين. والمزيد من المتأملين، وندرة من المتحدثين.

فى هذا المساء، لم تحدث معجزة، فالجمهور غير موهوب، وبالنسبة لى فقط أردت أن اعلن رأيى فى اكزافيه الذي اكرهه بقوة، وبصوت عال، لكن احدا لم يتبعنى رغم أن الأمر لا يعدو أن يكون وجهة نظر، فكرت ببساطة أن المخرج والمشاهدين سيتعادلون فى «العدم».

وانصرف الناس على أسرع ما يكون من أجل إخفاء آلامهم التى سببتها أسهم غياب الفكرة، وظل فى الصالة فريق العاملين بالفيلم. وعشيق حبيبتى، رحت أضغط على يد المخرج وبالغت فى التقريظ كأننى.لا أكذب.

– تهانئى، انه أفضل مما كنت أنتظر: هناك رؤية للعالم فى عملك. لقد عرضت فكرتك المحددة بين الجمال والقبح، والثقيل والخفيف، رؤيتك تشاؤمية وأنا متفق معها. فيلمك يجعل المعانى تنسال، ويكشف الروعة التى سرعان ما تختفى ، مثلما فى الحياة، وعنوانه واضح تماما. نعم، فإن انتحاعنا يتلاشى.

ردد بيير، وقد بدا منبهرا: أوه!

ابتسمت ايتل وهى تقبله: برافو.

أكمل بيير: أكد لى الجمهور أنه رائع، هل رأيتم؟ انهم طبيعيون وهذا ماكنت أريده.

تثاءب المدعى قائلا: حسنا، هل فهمتموه؟

ورحنا تجاه أفراننا الصغيرة، فلا شىء يبعث على الجوع مثل هذا الفيلم. قالت لى بطلة الفيلم:

– أنت ملك المنافقين.

سخر عشيقها: أى تملق ياصديقى!

احتججت: لم أكذب قط.

أجابت:

– أثناء العرض همست لى إنه فيلم متعب.

ردد المغفل: انه يثير البكاء.

أكدت: انه ليس متعبا فنحن نفهم العالم المتعب دوما. وفى الفيلم صورة للعالم الحقيقى.

علق الرسام: هذا يدهشنى. ففى السينما مثلما المسرح، لا شىء أكثر خطأ من الملل.

قلت وأنا أفكر فى اللحظات التى شاهدت فيها جميلتى:

– أعلن هذا الشخص الخطير غير القادر على فهم ما يمكن أن يجرح حبيبته:

– آه ، انه ملل بلا حدود.

أجبته: ماذا تعرف. أنت لم تكف عن النوم.

– لقد رأيت منه ما يكفينى أن أعرف انه لا شىء فى مجمله.

– بدأت فى النفخ. في البداية، لم يكن لك صوت فى الفصول، لقد رأيت المشاهد التى كانت فيها ايتل جميلة الى أقصى حد.

– نحن لا نذهب الى السينما لمشاهدة الجميلات.

– ليست مسألة الجميلات، لكنها مسألة عشيقتك.

– لست فى حاجة أن أذهب لأعذب نفسى فى صالة مظلمة لمشاهدتها.

– هذا عملها كممثلة والذي من أجله جئت لمشاهدتها. عندما كنا فى معرضك، وجدت أنه من الطبيعى أن نهتم بعملك، حسنا، أنا، كان يجب علىّ أن أجد هذا طبيعيا وانك يجب أن تهتم.

– لقد أخبرتنى بنفسها أن الفيلم سيكون مثيرا للبكاء.

– لكن هذا لا يمنع أن لها روحاً وجسداً.

– من أين تأتى بمثل هذه التعبيرات ياعزيزى؟

– لست عزيزك، ونحن لم نحتفظ بالألفة بيننا كما اعرف.

قال لى:

– تتكلم عن الألفة ، أنت فعلا خنزير، وأنت تعرف هذا.

رددت : ليس خنزيرا سوى من لا يعرف.

– اللعنة، ماذا أفعل لك ؟

– لى.. لا شىء.

– تتصور أنك تسبنى فى أسوأ فيلم فى العالم؟ أترى أن هذا يستحق المعاناة؟

– لكل إنسان ذوقه، أليس كذلك؟ ولك الحق أن تحب، ولى الحق ألا أحب.

– لم تكن محقا فى مشاهدة الفيلم.

– حسنا ، ياإيتل، لنذهب، فزميلك سيسبب لنا مشكلة.

سحبها من ذراعها، استدارت جميلتى نحوى بعينين متوترتين، وقبل أن يبلغا الباب، صارت أمامى الفرصة لأهتف:

– أنا لست زميل ايتل!

واختفى الاثنان فى الظلام.

وعدت الى منزلى، وقد أسكرنى الغضب، أردت أن أعلن رفضى لكل العالم، وإلى حبيبتى، أن تكون عشيقة لهذا الغبى المدعى، لاكزافيه الذي نال حبيبتى. وللمخرج أيضا، وللجمهور، قد لا تكون لدىّ الشجاعة أن أحب، وأنا بشكل خاص، وأن يحرقنى هذا المدعى، الذى لديه أسبابه الأفضل دوما كى يدفعنى لأوبخ هذا التافه.

وقضيت ليلتى أبكى من الغضب.

فى اليوم التالى، ٨ يناير، كانت ليلة الرحيل الى كانازوا.

دق الهاتف ، كنت أعرفها بصوتها البسيط قلت لها بمزاج عال:

– لم تكن لدى نية الاعتذار.

– لم اسألك ذلك، كنت على حق، أنا احتقره، وأفكر فى أن أفسخ علاقتى به.

وللحظة، احسست بنفسى أغلى من الفرحة، لكن الأمر لم يستمر طويلا لأنها أكملت:

– إذا لم أكن مغرمة به.

– قلت لتوك أنك تحتقرينه، وانك ستفسخين علاقتك به.

– لا يمنع أننى أحبه.

– سوف يمر.

– هذا سيجعل الزمن يمر، أعرف نفسى، سوف أعانى، واعانى.

وبينما قلبى ينعصر، أكملت:

– أيضا تلزمنى الشجاعة لهجرانه.

– ستحبينها.

– سأجدها لو ساعدتنى، ابيفان، أنا فى حاجة لك.

– لكننى ، سأرحل غدا الى اليابان.

– كيف، لقد نسيت، لا، ليس حقا: مبارك، ستتضاعف المشكلة الف مرة.

وراحت تبكى. وكنت أيضا مادحا أكثر منى منقلبا:

– سألغى السفر.

– لا، سوف يكون مبهجا لك أن تذهب لليابان، أمنعك من الالغاء.

– أنت أهم من الشمس المشرقة ، سأبقى.

– ليست المسألة. متى ستعود؟.

– فى الثانى عشر.

– ثلاثة أيام بدونك يمكننى أن احتملها، سأشعر بالموت لو لم تذهب.

– منذ ثلاثة أيام، كانت هناك ابيفانية، وعيدى، وعيد ميلادى ومثلما لم تتمنى لى فى هذا أو ذاك. فإننى، باسم مشاعرى المتقلصة، أنصاع لأمرك، وأحس اننى أتركك وحيدة، سوف ترتكبين حماقة.

– أى حماقة تودنى أن أرتكبها، أنا الشخص الأقل رغبة فى الانتحار فى العالم.

– لم أفكر فى هذا، لا، أخاف ألا تفسخى ، كما ترين، انت تخشين الا تكون لديك القدرة على ذلك.

– سأنتظر عودتك لأفعل ذلك.

– لا، لو انتظرت أربعة أيام، فلن تفسخى قط.

– سأفسخ، لا أستطيع أن احتمله.

– هل يعرف أنك ستهجرينه؟

– لو اهتم، سيعرف، سيحس بما أفكر فيه.

– أتمنى ألا تنسى كلماتك البراقة اليوم.

– لا تخاطر بالمرة، أخبرنى، هل من الجنون أن هذا الانفصال يمس شغاف القلب ، ومع ذلك فليس هناك وقت طويل، كنت تدافع عن اكزافيه ضد أقل قدر من النقد.

– بالأمس ، اعتقد اننى اكتشفت وجهه الحقيقى.

– وأنا أيضا، كان يجب الا أدعوه الى حفل العرض الأول.

– على العكس! كان يجب أن تفضلى الاستمرار فى هدهدة الوهم؟

– نعم.

وبكت دوما، كانت دموعها صامتة، كان يجب أن أكون رجلا – اذنا، كى يسمع عبر الهاتف.

وراحت السحب تنتحب عندما تبكى.

– تعالى معى الى كانازوا.

– لا.

– إنها مكان جميل.

– لاشك فى هذا. لا أستطيع الرحيل، لو ركبت هذه الطائرة معك فستكون أكذوبة. فكل وجودى سيظل هنا.

– ألا تعرفين أن أفضل وسيلة فى الحب هى الحرب؟

– لست فى حالة استطيع فيها الدفاع عن نفسى أيضا.

– تقولين «أيضا» ،كيف أستطيع أن ارحل واتركك وحدك، وأنا أعرف أنك مهددة بهذه الحالة.

– مهددة بالمعاناة، أمر حاسم، ليست هذه أول مرة يصيبنى فيها الألم. ولن أخاطر بشىء آخر.

– أتمنى لو جنبتك هذا.

– ابيفان، أنت أخى. حتى لو بقيت، فسوف أعانى، أرحل وحدك.

– عندى شرط.

– موافقة.

– اليوم ، اشترى فاكس.

– معذرة.

– سنذهب معا. إذا أردت، سأساعدك فى البقاء.

– لماذا تريدنى أن أمتلك فاكس.

– كى استطيع الاتصال بك، لا يهم متى، فالتليفون فى المسافات البعيدة يفسد الثقة، أليس كذلك؟

يجب أن نعيش زماننا. ففى العصور الوسطى لم يكن فى امكاننا السفر الى أى مكان بعيد دون أن احبس حبيبتى فى برج أو اربطها بحزام العفة. وفى القرن التاسع عشر كان يجب أن اشترى لها قميص نوم. أما الآن. فباسم الحرية الشخصية، لا يمكن الركض وسط أحكام مسبقة، أو مؤكدة، إذا أردنا السيطرة على الناس من مسافة بعيدة، فيجب أن نطلق عليهم وسائل الاتصال.

واشترينا فاكس، من طراز جيد، واتفقنا، وذهبت اليها:

– هل تضمنين لى أن أكزافيه لن يرد على رسالتى؟

– ليس هناك خطر، فهو لم يوافق. قط أن يقضى الليلة، أو حتى لحظة معى. لقد أخبرنى دوما أن شقتى بشعة.

– نحن نعرف دائما تعبيراته الخطيرة، وهذا لا يثير الضحك.

وفى لحظة الوداع قلنا ما نتمناه. ضممتها بين ذراعى، قالت لى:

– وكأنك ذاهب الى الحرب.

– أنت التى ستذهبين الى الحرب.

فى التاسع من يناير، فهمت ماذا يعنى تعبير رحيل الموت فى الروح.. أنا الذي انتظر هذا السفر طويلا، على وشك ان ابحث عن حدسها، فلدىّ كل ما يجعلنى ابقى.

ليست هى المرة الأولى التى أطير فيها الى مكان بعيد، ومع ذلك فكأنها المرة الأولي التى أرحل فيها طوال حياتى، فأنا لم أحس بمثل هذه الأحاسيس من قبل. لقد انتزعوا الأحشاء، وأحسست أننى أكاد أن أموت

من الخوف دون أن أعرف السبب، لقد كتب بول بولز عن السفر الحقيقى، وعن ذلك الذي يثق فى أنه لن يعود، وبلا شك فهذا هو سفرى الأول.

انه عبث، كنت أعرف أننى سأعود فى الثانى عشر، وبيدى تذكره العودة، واثناء ذلك لم أصدق، وأحسست بمشاعر غريبة بأننى سوف أموت . ليس «موت صغير» مثلما تقول الحكمة، ولكن «موت جميل» . لم تكن لدّى أى فكرة محددة عما سيكون عليه هذا الموت، انفجار وسط السماء، انفلونزا آسيوية، اغتيال بواسطة الياكوزا، حدوث زلزال القرن. الوعى بسخف معاناتى لم يغير من الأمر شيئا.

وربطنى رباط خفى بهذه القارة، مثلما كان الرحيل قديما فوق السفن الكبرى، تربط المهاجرين بأسرهم الحزينة والتى تنقسم حتى تتمزق، تقطعهم السارى بارك ويقعون فى البحر كى يعوموا، والبشاعة تحطم القلب.

تركت ايتل فى اللحظة التى هى فى أشد الحاجة الىّ، انه رجل وضيع وإذا لم تأمرنى امرأة حياتى، ما سافرت، كأنما هى تطلب من جنايني عاشق للورد أن يترك الوطن فى فترة الجفاف.

بدا لى أن اللحظة قد حانت لأعبر لها عن مشاعرى، للحظة، وانها قد انقلبت تماما، وربما تكاد لا ترى دمامتى. مثل هذه الفرصة لن تحدث بدون شك، فالوردة التي تموت من العطش فى حاجة الى الجنايني، لكن الجنايني أيضا فى حاجة أكثر إلى وردة تموت من العطش فبدون عطش زهرته لا يصبح موجودا.

وعندما سأعود من كانازوا، سيكون عطش الزهرة متلاشيا. كانت ايتل

شابة تتمتع بالإرادة، وتبدد الندوب ثناياتها، ويمكنها أن تتخلص منى، هذه الفكرة المتمردة تشبه مشروعا خجولا يكمن فى ركن فى روحى: سوف أدخل فى معاناتها من أجل أن أحصد جمرة عودتى.

هذا الشعور بدا غير قابل للنقاش، لأن هذه الحمقاء قادرة على عدم تذكر رغبتها في القطيعة وأن تعضد علاقتها مع هذا المدعى التافه، ومن هنا استلهمت فكرة شراء فاكس: فلن اتركها تنسى هذه الحلول الجميلة.

وأقلعت الطائرة، وتحطم الشريط، والتصقت بالكوة، ونظرت الى ما تركته ورائى: ايتل: صالات المطار، طرق الأرض المنداة فى يناير، والمصانع ، كله كان ايتل.

واختفت أوروبا وراء السحب، وتحررنا من الأرض، والآن يمكن البدء فى كتابة الفاكسات التى سأسطرها الى حبيبتى.

عزيزتى ايتل:

ما أن شرعنا فى الاقلاع، حتى بدأت فى الكتابة اليك: وعلىّ أن اخبرك أننى لن ألعق كعبك. ربما أننى الآن معك أكثر من الأيام الأخرى، مثل الأمس. وأول أمس.

فى هذه البوينج، هناك شاشة، فى كل ربع ساعة، يمكننا أن نحدد أين نحن: ونرى خريطة جغرافية، بواسطة أجهزة معلقة، بأعلى مثل لعبة، نحن الآن نطير فوق ألمانيا، ثم الى بولندا، وروسيا، وسيبيريا وبحر اليابان، وأخيرا طوكيو.

أنها الرحلة الأولى التى تترك فىّ كل هذه المشاعر. هذه الأماكن، التى

ابلغتك عنها، تقلب احوالى مثلما كان يحدث فى الأساطير القديمة. لم يكن لي أن أتأثر هكذا إذا لم أكن مستعدا لعبورها، شيء ما يجرنى مثل كلب صامت. فى العادة فإن السفر بالطائرة مثير للملل بالنسبة لى، وله أشكاله المجردة. اليوم، أحس بجسدى وروحى الحقيقيين فى هذه الرحلة التى تدير رأسى.

يجب أن تكون هذه هى فكرة معاناتك التى أغرقتنى فى عاطفة مفرطة، فقد فقدت روحى قدرتها المناعية عندما أخبرتينى أننى أخوك، أنت لا تعرفين الى أى حد هذا حقيقى، فأنا بدون أى ارتباط اكتفى بك، وددت ألا أرحل كى أبقى على مقربة منك. كما قررت أن أرمى إليك بكلماتى بهدف اصطيادك.

من ناحيتى، إنها حالة سخيفة، يكفينى أن أكتب لك كى أشعر بحضورك، فقلمى يستشيرك وهأنت هناك. أتساءل كيف يمكن للمشعوذين أن ينتشروا هكذا. ما هو دورهم فى الشعوذة مقارنة بسحر الكتابة الذى لا يقارن؟

ومن ناحيتك، هل يمكن توظيف هذا؟ هل تلاحظى أنك معى؟ إذا لم تكن هذه هى الحالة، فسوف تحدث خلال الاثنتى عشرة ساعة القادمة مع افتراض أن الطائرة لن تتحطم.

وزعت المضيفة أطباق الطعام، فى القائمة، وحتى لا أدهشك ، هناك معلبات العصير المصنوعة من الورق، لم أمسها، يلتهمها الناس حولى بتلذذ ، يبدون كأنهم وجدوا الأمر متفشيا، والسبب أنه شرقى، ترى لماذا يأكلون العلف؟ لا أفهم شيئا فى هذا النوع، وأفكر أنك وأنا لن نأكل منها شيئا.

نحن من طراز من يريدون الأفضل، ويرفضون الباقى، بلاشك لدينا قليل من الحظ للحصول على ما نرغب فيه ولكن هذا لن يغير شيئا فى رغبتنا، نحن ننشد الأفضل، إنها خسارة لدى هؤلاء الذين يروننا بلهاء.

أنت تنشدين الأفضل عبر حبك، وإكزافيه يرى هذا أشبه بكعكة، هل ترين الهوة التى تفصلك عنه؟ كم هو فخور أن يضع قدميه فى الصلصال، إنه من طراز الذين ينفخون فى أطباقهم الدافئة، ولهذا السبب هو أكول، أما الباقى، فإن لديهم الحق ويجب أن يكونوا حمقى حتى لاينالوا حقوقهم.

هل ترين أننى أريد العودة؟ لكن بسبب عشيقك أكزافيه: صرت أشبه بالعصف المأكول لأنك قدمت له نفسك، يكفيه أن يعتقد أنه جدير بك، إنه مغفل لأنه لايأخذ مايقدم إليه، لن أقارنك للحظة بهذا الغذاء الماسخ ففيه اشارك هؤلاء الأكيلة المنفرين، اطمئن أننى أكدرك. ليس هـذا هو الهدف، أنا أؤلمك، ولكن هذا لمصلحتك.

أعانى من فكرة أنك تغيرين رأيك، أنت رقيقة وهوائية. يكفى أن يكون أكزافيه بالنسبة لك نظرة بكائية وأن تغفرى له، أضع فى حسبانى أننى لا أعرف إلى أى حد سيصل الأمر، ففى أمسية العرض الأول، أجهل أى غباء دفعه ليقول لك فيما بعد أنك تسقطين قنابلك علىّ، ربما أن ليس لديه شىء ليقوله أكثر فى حينه. مما لايغير شيئا فى الموقف.

ورغم ذلك، كان يجب أن يحدث ما هو أسوأ، أريد ذلك كى أثبت لك أنه بخيل فى ثقته بنفسه فى الأوقات الأخيرة، فأنت لم تحك لى شيئا، يجب أن تفكرى «إنه هو ، فاكس عزاء، يا للسادية!»، إيتل كم أفضل مائة مرة أن أقول أشياء لطيفة، هه، أحسب أنك فى حاجة لأن تهتزى بشكل خاص، فقد تصل المعاناة أقصاها من أجل ألا تبلغ شيئا، إذا لم تفسخى، فإن ألمك

سوف يكون خصبا، وفى هذه اللحظة فأنت كالبطل الذى قرر أن يكف عن الوخز، كانت الأيام الأولى مؤلمة وأنت تعانين كامرأة أصابتها اللعنة، إذا أمسكت الأمور بشكل جيد، فسوف تخرجين منها محررة، أو على الأقل محصنة ضد المخدر، وإذا قرقعت، فسوف تعيشين فى الجحيم بلا سبب.

لم يكن مسخى مجانيا، فهذا الشاب مثير للدهشة. فى المرة الأولى فإنه سبب لك متعة حقيقية، لم تكف عن التضاءل منذ لحظتها حتى اختفت، اعتقدت أنك تحبينه عندما جربت معه الاستقلال، إنها مشاعر بائسة بالصورة التى استلمتها، نعم، أعرف، لقد أخبرتك بالكثير عنه فى الأيام الأخيرة، وخدعت نفسى، أنت وضعت نفسك جيدا فى مكانه كى تعرفى كم هو جذاب، ووجدت نفسى فى اللعبة نفسها، لقد وضع نفسه أكثر منى، وسط عملية سحر حقيقية، وكنت مشدوها.

فى حفل العرض الأول، كشف لنا عن وجهه الحقيقى، هل لاحظت كم تظللت سماته المثيرة للرثاء؟ لم يكن نفس الرجل الجميل، إنه سوقى وعديم الذوق، فم برجوازى صغير بائس لم يحب قط برامج التليفزيون.

وراجعت نفسى للحظة طويلة كى أنظر إليه من كوة الطائرة، لم يكن أمامى شىء أراه، وكان هذا مسليا، لاشىء يثير الدهشة فى هذا، نحن نطير فوق بولندا، لقد كتب الفريد جارى هذه الأعمال المسرحية من أجل «أوبو»، يمر التاريخ عبر بولندا بما لايعنى شيئا، كم أحب أن أعيش فى بولندا!.

إنهم يعرضون فيلما أمريكيا فى الطائرة، لا أعرف ماهو «لا أريد أن أعرف» لا أرى فقط سوى الممثلة الرئيسية باهتة أكثر من طبق نظيف، ترتدى فستانا من المناديل الورقية، أنا لا أكذب، هذا النسيج عند سقوطه

واللون الوردى للمناديل الورقية، يثير الرغبة فى الولوج بداخله، أنا أعرف نفسى، منذ أن عملت بالأزياء، لايبدو أنه فيلم كوميدى، يبدو أنها قصة حب، حتى لو لم نستعمل السماعات.

حسنا، من حولى، يضع الناس السماعات، وقد انغمسوا على هذا الفيلم الجماهيرى، لايبدون متحمسين: ها هو الطبق الرئيسى، والعرض السينمائى. أنا متأكد أن إكزافيه سيفعل مثلهم، لم يكن «الانتحاء المتلاشى» جيدا بالنسبة لهم، ولكن الطبق النظيف المغطى بالمنديل الورقى، يبدو كذلك.

سأتركك الآن قليلا، فقد أخذت معى كتاب «نقد العقل الخالص»، سوف تفهمين أننى أحترق رغبة لمعاودة قراءته.

لك دوما

ابيفان

لم آخذ معى «نقد العقل الخالص» فقد ملأنى العدم، عبر النافذة وأحسست برد الفعل عبر هذا المشهد، كثيف مثل بيضة، تكامل خاص من هذا العاشق المتمزق، فلا أعانى عندما يجب أن أنال ما يمتعنى به من توتر يحركنى.

فى الحقيقة، فإننى غير قادر على أقل قدر من التفكير، يلزمنى قدر من الفراغ فى الذات كى أستطيع التخلص من الأفكار، وأن أجد ما يحل محلها، فأنا ملآن بها، وكم أجهل كم من الساعات غرقت فى هذا التورط الداخلى.

وهكذا لم تساعدنى الكتابة أن تضعنى فى حضرة ايتل ، لكنها تضعنى

فى حضرة ذاتى وقررت أن أكتب «فاكس» آخر.

فى الطائرة ١٠/١/١٩٩٧

عزيزتى ايتل.....

انتهيت من قراءة «نقد العقل الخالص»، كتاب جيد، أوصيك بقراءته أنا لا أنظر إلى ما أقرأه، فأنا لدى عينان ملتصقتان، نحن نطير فوق سيبيريا منذ أكثر من ساعة، ولم أر شيئا مطلقا، لنفهم جيدا، فليس لهذا المكان علاقة مع العدم البولندى، هنا، ليس العدم، بل هناك عالم أعلى الطائرة، أقسم أن الإنسان لم يمر به قط، نحن نبحث بلا جدوى عما يشبه الطريق: منزل، أو ربما ممر، لاشىء سوى تلال مليئة بالأشجار والسحب على مرمى البصر.

علىّ أن أصدق سولجينتسين وصحبه، فهنا يوجد آدميون، معسكر الجولاج، هل هم تحت الجليد؟ أم أن السحب تخفى أثر الإنسان، لا، مستحيل، لقد طرنا فوق بولندا، وروسيا، وهى كلها كثيفة السحب والطرق والسكان، لايمكن أن تميزها بشكل أفضل، فضلا عن أننا فى العاشر من يناير، والجبل الأبيض لم يختف منذ الأمس، لكن، هنا يبدو وجه البكارة الجميل والحقيقى، إنه أمر مذهل.

نظرت إلى التوقيت المحلى فى الجهاز على الشاشة، نحن على وشك أن نخترق سيبيريا الهائلة، وأمامنا على الأقل خمس ساعات كى نمر من فوقها وما أن ظهرت بوادر الحضارة، حتى شرعت فى الكتابة إليك.

بعد ساعة، دائما لاشيء، يبدو أن عليّ أن أرى شريط القطار على الأقل: أين هو: هذا القطار السيبيرى؟ فى العمق، أشعر بالسعادة لهذا الموقف، فالآداب قد أوجدت الشاب سندراس الخفيف الظل فى رواية «النثر فى سيبيريا» الذى كان إحدى الذكريات الساحرة فى سنوات المراهقة، طالما أن هذا الرحيل تجاه الشرق لم يعد موجودا، فالأشياء ماثلة فى ذاكرتى، موز له عوينات، وساندراس لم يركب قطار سيبيريا، ولهذا فالقطار لم يعد موجودا وهذا أفضل من معاملة شاعر الكذب، لم يعد يوجد شيء يعجب به المرء، كى يكتب واحدا، من أجمل النصوص العالية، حول خط سكة حديد لم يعد موجوداً؟.

ورغم قوة الرغبة فى النظر عبر النافذة، فقد استولى عليّ سندراس الهارب من أوروبا وفى صحبته فتاة، عاهرة مصابة بالزهرى أسماها الصغيرة جيهان الفرسية، أنا معك ، فى بداية القصيدة، أحسسنا إنها تصحبه من أجل الحقيقة، لكن شيئا فشيئا، فهمنا أنها موجوده ضمن أفكاره، وأنت أيضا، لم تكونى عاهرة مصابة بالزهرى، أنت ترافقينى فى الفكر، وهذا الاستدعاء بالغ القوة، وأحيانا أنت معى هنا على أفضل مايكون.

وبعد ساعة، لاشيء أيضا، كم من آلاف الأمتار طرنا فوقها دون أن نرى طريقاً آدميا، أنا الذى لديه هاجس أن الأرض مزحومة بالبشر، ليس أمامى سوى الاستمتاع بمثل هذا المشهد، المنظر ذو الوتيرة الواحدة المدهش، هذه التلال الخاوية من البشر هى أجمل المشاهد المريحة للعين، وفيها يمكن للمرء

العثور على ايمانه بالقيامة، فكم تدور الأرض رغما عن أنوفنا وكأنها ستصير نبيلة وهادئة ما إن نختفى نحن عن الأنظار.

وبعد ساعة ثالثة، لاشىء أيضا، سوف أكسب رهانى، إذا كانت ذكرياتى المدرسية صحيحة، فنهر الحب يجب أن يكون فى هذا المكان، كل هذا يملأ المشاعر: الحب لم يتم اختياره لمشاهدة منطقة مزدحمة بالناس مثل بنجلاديش أو بلجيكا، بل اختار الأماكن الأقل كثافة، الحب لم يتم اختياره لقراءة منطقة حارة، أو باردة، إنه يتكامل حيث الجليد بكرا، وعندما يقال «سيبيريا» فإن أحدا لا يرغب فى الابتسام، فهى كلمة تعنى السجن أو الموت، والناس العاديون لايرغبون فى استكشاف سيبيريا، يجب أن تكون مجنونا لو رغبت فى الذهاب لترى كيف سيرى نهر الحب.

ثم، ألا يعنى هذا أن الحب يجب أن يكون نهرا، وليس جبلا أو مستنقعا أو وادى أو بلاتوه؟ ألا يعنى أن النهر، شىء يجرى بشكل رائع دون أن يكف عن التغير؟، وأليس المحب هو الشاعر الأشد قوة مما هى عليه؟ فنحن لانسبح مرتين فى نفس قصة الحب.

يربط النهر بين الأرض والبحر، والثابت بالمتحرك، والمجهول بالمعلوم، وينساب النهر وسط المنابع القادمة من كل الأنحاء، مثلما يربط الحب بين اثنين فى غمضة عين، بين المشاعر الوجدانية ليشكل فيضانا، فياضا ينساب النهر بهدوء شيئا فشيئا ويسبح، ثم يسرع نحو الشلال، أو إلى مسقط مياه.

أما التناقض الأكثر صداما، فهو أن النهر لاينضب، يتلاشى فى فترات الجفاف، وفى بعض الأحيان يعطى الإحساس أنه قد اختفى، ومع ذلك فهو موجود، أفهم أن الأقدمين تحدوا الأنهار، وعندما كنت صغيرا، ظللت منبهرا أمام المنابع الأبدية، وتساءلت من أين تأتى كل هذه المياه، أو إلى أين تتجه؟

وخاب أملى كثيرا عندما علمت أن التراكم، ومستوى الماء وتفسيرات أخرى لهذا الغموض، أشبه بإناس يشعرون نحوك بالحب من أول نظرة وبغريزة إعادة التكوين.

يجب أن أتوقف عن الكلام فى الحب، لعل الأمر لايناسبك فى قصتك العاطفية، من ناحية أخرى فإذا كان الحب موجودا، فإنك لن تجدى شيئا تهربين منه إلى مكان مثل سيبيريا.

وبعد ساعة، عبرنا: تالسا! آه تالسا، ورأيت بحر اليابان، وهو الشىء الأكثر غرابة، كأننى رأيته مائة مرة، رأيت طريقا، طريقا غبيا طويلا يؤدى إلى مبانى أشبه بالعنابر قريبة من الشاطىء، إنها أول برهان على الوجود الإنسانى منذ الآلاف والآلاف من الكيلومترات، ليس لديك أدنى فكرة عن أثر هذا فى نفسى.

بعد أربعين دقيقة، رأينا الأرض؟ ها هى امبراطورية الشمس، إنها المرة الأولى فى حياتى التى أحس فيها بمذاق السفر، هذا بلا شك بسبب الإحساس بقوة القدر، فى مخيلتى لاتوجد مسافة أبعد من اليابان، فهى بالنسبة لى من «خارج العالم»، مثلما قال بودلير عن اليابان.

أعرف أننى يجب أن أكون ضحية للعديد من الأماكن العامة، كى أكوّن فكرتى عن هذا البلد الأسطورة، لكن ليست لدى أى رغبة أن أضع ذلك فى الاعتبار، بل على العكس، فليست لدى النية أن أوثر عليها، بقدرتى على المراقبة، وأن أتأمل شكلها الزائف. اليوم، يود كل العالم أن يدمر الأساطير: وأجد أن هذا شىء سوقى، قد يكون من السهل تحطيم الأساطير من خلق

واحدة منها، وعندما تدمرها، فعلى العكس، فإننى أعرف أنها تضيع ومن ناحيتى لدى اسطورتى المسماه أوجينى جراندیه.

ومن أجل أن نقدم الأسباب، ها هو بطل هذه الرواية «جيل فوجى» قريب من نافذة، يالجمال رؤيته، إنه يخترق السحب، أبيض، ورائع، ولديه ملامح محددة كونتها عنه، تعيش معى فى كل الأماكن العامة!.

طائرة كوكيو ـ كانازاوا ـ اليوم نفسه

اتجهت إلى المطار الدولى فى ناريتا، وأسرعت بإرسال الفاكس لك لكنه لا يعمل، مررت كأننى رئيس جمهورية بعد أن عرفوا شكلى، لم أكن أعرف أن حدبتى تتمتع بكل هذه الشهرة، أردت أن أتذكر كوازيمودو، وأطلقوا على اسم «كاجيموتو».. كانت هناك مشكلات فى المخاطبة، لم أفهم انجليزيتهم ولا أعرف هل فهموا انجليزيتى، وبينما أغير العملة، سألت عن الشخص الوحيد فى المطار الذى لديه فاكس.

اليابان التى رأيتها بين مطارين لم تتوافق مع مخيلتى الساذجة، أحسست إننى لم أر شيئا بعد، فى المقابل، منذ أن هبطت الطائرة، لفتت انتباهى أشياء تخصنى، جبال مغطاة بالجليد، كالصحارى، وسحب متناغمة، وأيضا مرتفعات فوجى، وهى من الإبداعات الجميلة، لأننا نراها فى أى مكان من هذا البلد.

كانت كانازوا المدينة الأكثر غطاء بالجليد، يربطها نهر بفلاديسكوف،

الواقعة دوما تحت سطوة الريح، مما جعلنى أحس بأننى فى حالة سفر دائم. هذا السفر صحبنى، بدون شك، فى سيبيريا. جميلتى، نحن لانعود إلى نهر الحب أرسل لك «بطاقة المحبة» «وأنا منبطح أرضا، إلى اللقاء».

لك دوما

ابيفان

قادتنى سيارة أجرة إلى فندق ضخم سيقيم فيه أعضاء لجنة التحكيم لانتخاب ملكة جمال العالم، كان همى الأول هو إرسال الفاكسات، وكان همى هو الحصول على التعليمات.

كان من الضرورى أن تصل ضربات قلبى إلى هدفها .

وما أن استقريت فى غرفتى، حتى بدأت فى الكتابة، وذلك قبل أن تخبو نيرانى.

فندق كانازوا، اليوم نفسه

عزيزتى ايتل.....

أرسلت لك عدة فاكسات، لاتفكرى أن تتركينى هكذا، فقد تركنا المنظمون لنقوم بجولة حرة حتى الغد، أعتقد أن المحكمين الآخرين استغلوا الفرصة للنوم أو لزيارة المدينة، أما أنا فقد قررت أن أكتب لك.

لعلك تعتقدين أننى غبى وحذر، وأنه كان من الأفضل أن أذهب لرؤية

كانازاوا. تعرفين أننى أزور الأشياء بطريقتى، لذا بقيت وحدى محبوسا فى غرفتى بالفندق، أكتب الصفحات تلو الصفحات لحبيبة قلبى، ليست هذه أسوأ طريقة للتعرف على المدينة، مهما كان، فأنا أعتقد أننى قد رأيت كفايتى منها أثناء المسافة من المطار حتى هنا، السحب، لم أر مثيلا لها من قبل، باقات من السحب التى لاتنتهى، وأنا لا أبالغ فى هذا.

مشاهدة الكثير من السحب على حافة بحر ليست أمرا عاديا، لكن الشىء الأكثر غرابة، هو الأشجار، أشجار صنوبر بحرية صغيرة، تبدو هزيلة كأنها قادرة دوما على تحمل أثقال كل هذه الكميات المتراكمة من الجليد، يحب اليابانيون الطبيعية عندما تكون فى صحة طيبة، يحبون أيضا أن يهزونها عندما يصيبها المرض، أنهم يهزون كل شجرة ويلفونها بكمية كبيرة من الطمى فى أعلاها ويلفون حولها الحبال من أجل حمايتها من السقوط، وهكذا فإن الأشجار تتحمل ثقل الجليد والنتيجة واحدة، فإن أشجار الصنوبر المجهزة على هذا الشكل تتجمع فى شكل أجنحة، كم هذا جميل، يبدو كأنه شعار كانازاوا.

بدأت فى الإحساس بأن رأسى يدور، فأنا لم أنم منذ مغادرتى أوروبا، هل تعرفين لماذا لا أجرؤ أن أمتثل للتعب؟ لأننى أحس بمسئولية قيادتك، مثلما سهرت طويلا، وأنا أكتب لك، أنت لاتستطيعين تحمل هذا العبء لقد تحولت إلى شهرزاد والفاكس.

غرفتى رائعة، خاصة الحمام المحكم مثل قصيدة الملارميه، وعندما أجلس فوق المقعدة، أخلع نظاراتى، وعندما أسحب السيفون، استقبل فيضا من المياه فى مؤخرتى، أما البانيو فواسع للغاية، لدرجة أننى أستطيع دعوة أصدقائى إليه، لو كان لى أصدقاء هناك على الأقل، أربعون قاطع تيار فى

كل المكان، أريد أن أفهم فيم تستخدم، ومع ذلك لا أجرؤ خوفاً أن تكون الجدار القاذف، أو الهاريكارى الآلى.

نعم، لقد حكيت لك حكايات، بينما أنا منهك، سوف أذهب إلى مكتب الاستقبال لأرسل لك هذا الفاكس، ثم سوف أصعد لأنام، كونى عاقلة.

لك دوما

ابيفان

فندق كازاناوا ١٩٩٧/١/١١

عزيزتى ايتل.....

لعلك تقولين «لينام قليلا»؟ قيلولتى الصغيرة.. لم تستمر سوى دقائق قصيرة واستيقظت تائها، ياله من وقت ضائع!، ارتددت كأننى جدار وذهبت للتنزه إلى كانازاوا المجنونة، إنها شىء ما، لاتوجد قطة واحدة فى الشوارع، الصمت الأكثر سكونا، أعتقد أن كل الناس هنا قد ماتوا، وان أمتار السحب قد غاصت فى هذه المشاعر.

لا أستطيع البقاء وقتا طويلا، فالبرد لايحتمل، مررت وأننا عائد بالحى القديم للمدينة، لايوجد أجمل من هذه الأسقف اليابانية المتسربة تحت السحب التى تجلب ضجة خضراء وسط نقطة قناعتى بغيابى، فهذه ليست سوى نزهة سوداء. كنت على حق فى الحضور إلى اليابان.

أنا متعب للغاية، لا أستطيع حتى الجلوس، يجب أن أستند إلى أشجار الصنوبر، هذا الصنوبر المحلى يبدو كالأصفاد، سينتظر هذا الفاكس حتى صباح الغد، لأرسله لك، أنا أنام.

لك دوما

ابيفان

غرفة الفندق ١٩٩٧/١/١١

عزيزتى ايتل.....

الساعة الحادية عشر مساء، أنت تستحقين التفكير الطويل لفاكساتى، أما بالنسبة لى فقد قضيت يوما تائها من حياتى.

فى الساعة العاشرة صباحا، التقيت بالمحلفين الأحد عشر الآخرين، كل منهم من جنسية مختلفة، لا شىء مهم يمكن أن أقوله عنهم، من ناحية ربطتنى صداقة مع سفيرة أوربية، تساءلنا لماذا تم اختيارنا نحن الاثنين لهذا التحكيم، هناك أيضا طبيب أسنان من بيرو، وصاحب مطعم من توجو وسفير البابا، يبدو أن المنظمين قد اختاروا أشخاصا بشكل غريب، وبالمفهوم نفسه تم اختيار البنات، كان أمرا صعب الفهم، فهناك خمسة وثلاثين فتاة أعمارهن من السابعة عشرة حتى الثالثة والعشرين، أغلبهن بشعات، لم أتوقع أن يكون هؤلاء الفتيات باهتات ولا معنى لهن بهذا الشكل، فلكل واحدة منهن قبحها الملحوظ، هل وقعت فى مسابقة اختيار أقبح فتاة فى العالم؟.

تصورت أنها حالة من السخرية، إذا لم يكن وسط هذا الحشد خمس بنات جميلات، على الأقل يلفتن النظر، لقد أنهى حضورهن خلط الخريطة.

ركزت اهتمامى على ملكة جمال لبنان التى تتناسب مع فكرة أنها شهر زاد، وشاركتنى السفيرة الأوربية فكرتى.

وطوال النهار، كان لدينا الحق فى مناقشات لاتنتهى، حول أن «الجمال الحقيقى هو جمال الروح»، حديث ساخر فى أفواه أناس يختارون ملكة جمال وفق معايرهم الخاصة.

تقدمت الحسناوات أمامنا فى مجموعات، الواحدة تلو الأخرى، ونسأل

كل منهن عن طبقها المفضل، وموهبتها الخاصة، وطموحها، فوجئت بأن ملكة جمال أورجواى تحب الكافيار لدرجة العبادة، وأن ملكة جمال أوكرانيا لديها موهبة الرقص الشعبى، وأن ملكة جمال غينيا الجديدة تأمل أن (أدون) أنها تأمل «النجاح فى الحياة».

وعرفت أن المسئولات عن المسابقة دفعن المنظمين إلى اختيار هؤلاء الفتيات الشابات مما يعنى أن العاهرات تبدون سعيدات عند الكلام عنهن، وتبدو أصواتهن كأنهن تناولن سكر الشعير، فى الحقيقة فإن السفيرة، وأنا، وكل الآخرين بدونا منبهرين، وبشكل خاص سفيرة البابا التى أصابها الإغماء.

ومن بين المحكمين، كانت هناك أيضا امرأة معمرة، تملأ التجاعيد وجهها. لم أستطع أن أهضم شخصيتها، وفهمت أخيرا أنها كانت ملكة جمال العالم عام ١٩٦٠، ورحت أحسب أنها كانت فى السادسة عشر على الأكثر أو أنها أكبر من ذلك بثمانية أعوام، إنها أشبه بساحرة كارابوس، فهى تعلق في كل مرة تتقدم فيها واحدة من الجميلات: «كنت أجمل منها، وأنا شابة»، وكان هذا أيضا أمرا عجيبا.

جذبتنى ملكة جمال البرازيل أكثر من الأخريات، فهى تتمتع بسوقية حزينة، وليس بسخرية، ولديها حسية عالية، كأنها عاهرة فى شارع سان مارتن. لا، فالسوقية المتكلفة لفتاة جميلة تظهر عند طلتها الأولى.

همست فى أذن صديقتى السفيرة: إنها أكثرهن قبحا.

ووافقتنى دون تحفظ.

لن أتكلم إليك طوال ثلاث ساعات، لأننى سأكون فى هذا المكان القبيح المخصص للاختيار، فعندما يذهب المرء إلى مسابقة للجمال، يعرف ماذا

ينتظره، ولن أمثل دور المندهش، لكننى أتظاهر أننى متأهب لألف مرة جديدة، لو أظهرن أنفسهم دون جنونهن الخبيث، فإننى لن أصدم. فعندما يباع اللحم، فإن أحدا لايخفى نفسه لأنه عند الجزار، ويبدو لى أننى أحضر حفل دعارة منظم لمنح إحداهن صدقة.

فى نهاية الظهيرة، قمنا بالتصويت، ولم أغير رأيى فى اللبنانية الصغيرة، وكانت السؤال هو: ما طموحك فى الحياة؟.... فأجابت: أن أكسب فى مسابقة جمال العالم، ووجدت هذا رائعا.

كانت السيدات المنظمات للمسابقة قد أعلن موقفهن، ثم جئن لإعلان النتيجة التى بدت أشبه بقنبلة متفجرة، وضعت كل منهن ابتسامة فى اذن الأخرى، وبدأن فى قول انهن يوافقن مائة بالمائة على اختيار المحكمين، وبدأت أكثر فى التشكك، وكان عندى حق، لقد حصلت البرازيلية على اللقب.

وثرنا، أنا والسفيرة، وحاولنا مراجعة لجنة التحكيم: هل أنتم متأكدون أنكم قمتم بالتصويت لصالح ملكة جمال البرازيل، وتساءلنا لماذا، وجاءت الإجابة: «لأنها فتاة لطيفة، وصحتها طيبة، وابتسامتها ساحرة».

قلت لصديقتى: كان يجب أن يخبروننا أن الأمر يخص انتخاب ملكة جمال بادن باول.

وبعد احتجاجات، اختيرت ملكة جمال العالم لعام ١٩٦٠ لإعلان النتيجة، وتقبلت الأمر بفرحة فائقة، وانتهزت الفرصة كى تحدد أنها قامت بالتصويت لمصلحة ملكة جمال البرازيل، وبعد أن دعمت اختيارها، علقت أنها كانت أجمل منها عندما كانت شابة، وكانت هذه أروع اللحظات فى الأمسية.

وتلى ذلك وليمة أقامتها ملكة جمال العالم ١٩٩٧، التى شكلت مفاجأة

وردية، وعلى يمينها جلس الرئيس المنظم للمسابقة، وعلى يسارها، سفير البابا، فضلت أن أتجاهل مايحدث على المائدة، وغادرت قبل نهاية الحفل، فلم أعد أحتمل، كنت أرغب فى التعرف على الحقيقة الساخرة للبلد الأكثر سحرا على الأرض، لقد استخدموه كمسرح لحدث عالمى هو الأكثر سوقية فى السنة.

سأعود مساء الغد، أكتب لك هذا الفاكس فى مكتب الاستقبال، ثم سأنام.

لك دوما

ابيفان

لم أنم، أرادنى القدر أن أقضى ليلا أكثر وحشة فى حياتى...

تمددت وأنا أفكر فى ايتل، شيئا فشيئا، وضعت فى حسبانى أن حرارة رهيبة تسرى فى الغرفة، قمت لأعدل جهاز تنظيم الحرارة، لكننى لم أجد قاطع التيار المناسب، خابرت الاستقبال ليأتى أحد لمساعدتى، وشرحوا لى فى أدب جم أن الغرف لا تخضع لتدفئة ذاتية، وأنه من المستحيل تخفيض درجة الحرارة فى غرفتى، اقترحت تعديل ضابط التدفئة فى كل الفندق فأجابنى بكل أدب، أن الضيوف الآخرين للأسف، سعداء من هذه الدرجة من الحرارة.

ـ كيف يمكنهم أن يكونوا سعداء فى هذا الجو الملىء بالبخار؟.

ـ فى البارحة، ياسيدى، كانت درجة الحرارة مناسبة، وقد تلاءمت معها.

ـ أنا منهك، والتعب يصيبنى بالبرد.

– يجب على سيدى أن يأخذ، ربما ، منوما...

ـ حاولت أن أفتح النافذة، ولكن ليس هذا سوقا، هل يمكنكم أن ترسلوا

لى أحدا ليفعل ذلك؟.

ـ مستحيل ياسيدى، فالنوافذ مغلقة، وكانازوا مدينة مهددة بالرياح التى تأتى من سيبيريا.

– أعرف ، أعرف، يجب أن يكون هناك حل، فالحر يزهقنى

ـ نحن آسفون، ياسيدى.

بدونا كأننا فى محادثات سياسية فاشلة، وما أصابنى أكثر بالعصبية أن موظف الاستقبال كان جامد الصوت، وطرأت على بالى فكرة، اننى إذا استمررت هكذا، فإن الظروف سوف تدفع هذا البائس بارتكاب جريمة السبوكى أمامى، كى يغسل شرفات الفندق، لذا تركت التليفون ووضعت السماعة.

وتمددت من جديد، وأنا أفكر أنه إذا كان هناك مائة نزيل يتحملون هذه الحرارة، فإننى سأتمكن أيضا، وبعد عشر دقائق، اختنقت، فذهبت لآخذ حماما باردا، وهو الأمر الوحيد الذى يجعل دمائى تتثلج، حاولت استخدام أساليب المنطق، وأخذت أفكر فى المناطق الباردة، والقطب الشمالى، والسحب الأبدية، والعاصفة الثلجية، وأفلام المخرج بريسون، إلخ..... لكنها لم تكن بذات جدوى.

وأصابنى غضب، فألقيت نفسى على النافذة، وسحبت المقبض كالمجانين دون أى نتيجة، فازداد غضبى مرة أخرى، وانتهى الأمر بأن جثمت بقدمى الاثنين فوق الحافة، وأنا أبذل كل جهدى لمضاعفة قوة السحب بما يتمتع به جسدى من قوة، وصرخت بكلمات أشبه بالاغتصاب الجنسى.

وعزز الغضب من قواى، فقد انفتحت النافذة فجأة، ورمت بى فوق السجادة ولم يمر سوى لحظة، إلا وانطلقت رياح سيبيريا فى أرجاء الغرفة،

وراحت تغزو المكان، واستمتع وجهى من هذه الدفعة القوية، التى اندفعت بكل سرعة، وأسرعت نحو السرير، وقد أصابتنى رجفة قاسية، وحاولت إغلاق النافذة لكن هذا من المستحيل، فالرياح المرتجفة منعتنى من تحريك الزجاج.

وارتديت بلوفرى، ومعطفى، وقفازى، وغطاء رأسى، وجواربى الصوفية وانطرحت على الفراش، مخفيا رأسى تحت الغطاء، وأحسست أننى مثل من وضعوه فى قلب ثلاجة، كان الحمام هو الحل، لو تركت الباب مفتوحا، لكنه كان أكثر برودة من الغرفة، فكرت فى ملء البانيو بالماء الساخن، وأن أقضى فيه ليلتى، لكننى خفت من الغرق إذا غلبنى النعاس، فقد سمعت الكثير عن الحوادث المماثلة، فأنا لا أستطيع أن أموت دون أن أرى حبيبتى.

من جديد جربت الطريقة النفسية وأنا أفكر فى مدار السرطان، وفى المترو فى ساعة الذروة، وفى نار جهنم، وفى بركان فيزوف، وفى الأفلام الإباحية، لكن هذا لايفيد فى شىء، وعم إذا لم يعن هذا أننى أحس بالمتعة الوحيدة ربما يمكننى أن أتدفأ وأنا أصنع من يدى امرأة، لاحظت أن هذا الأسلوب العملى له تأثير ذاتى مثل زجاجة الفودكا، وصرت ساخنا بعد عشر دقائق، ثم انتابنى برد مجددا.

لقد أضيفت ظاهرة رومانسية غبية، فمنذ أن صرت عاشقا، فإن هذا النوع من المتعة الذاتية يخذلنى.

لم أجرؤ مطلقا على مخابرة الاستقبال، وأن أسألهم غرفة أخرى، فهذا يعنى أننى كسرت النافذة، وهو أمر لا أفخر به، كنت أعرف أن الآسيويين يشكون من فقدان السمع، وقررت أن أترك الفندق فى اليوم التالى دون التفسير بكلمة واحدة، وأن أتغاضى عن الضرر الشخصى الذى لحق بى.

لا، لم يكن هناك أى حل، فقد اتهمت بأننى صرت لوحا من الجليد، ولم تتأخر المعاناة فى أن تجعلنى واهنا، كالحرب الملول، فأرتديت ملابس عادية، ونزلت إلى البار فى الدور الأرضى.

عندما مررت أمام موظف الاستقبال، نظر إلىّ فى ارتياب.

ـ هل أنت السيد الذى لايستطيع النوم؟ السيد الساخن دائما؟.

أجبت حتى لايقرر الانتحار:

– الأمر ليس جسيما، أنا لم أنم.

فى الحقيقة، فأنا أموت من التعب، طلبت من عامل البار قهوة أسبرسو كى توقظنى، وكأننى لا أحس بأى قوة، ثم طلبت قهوة أخرى، وثالثة، وفى الثامنة بدأت فى الخروج من خدرى، وبعد خمس دقائق، رحت أهذى.

لقد أسكرنى الكافيين، واستبد بمخى خطب من طراز «لحن السعادة» مختلطا بلحن جنانزى، كنت أسعد رجل فوق الأرض: «فالعالم ينتمى إلىّ» ودمامتى تحكمه للأبد، وبشاعتى ثابتة، دائمة، مسكينة ايتل، يجب أن أحميك، سأخبرك أننى أحبك، وسوف تبكين من السعادة.

وأسرعت بكل سرعة إلى غرفتى المجمدة كى أبحث عن شىء أكتبه، ثم نزلت إلى البار، وبدأت أكتب فاكس يعبر عن سكرتى، وبدا النصر فى سن قلمى.

كازاناوا ١٩٩٧/١/١٢

ايتل.....

كنت أعتقد أننى لن أكتب لك قبل أن نلتقى هذا المساء لكننى خدعت،

فحالتى العقلية فى هذه اللحظة أكثر غرابة، يبدو لى أنها المرة الأولى فى حياتى، أنا عارى، فالساعة الآن الثالثة صباحا، ولا أستطيع النوم لحظة رغم تعبى.

ايتل، هل تتذكرين ذلك اليوم فى نهاية ديسمبر حين جئت إلى منزلى، يائسة، وحين كلمتك عن المشاعر التى يكنها اكزافيه نحوك؟، لقد أخذتك بين ذراعى وقلت لك عبارات مواساة: «إنه يحبك.. انه لايرى سواك..... إلخ، وأنت لم تنس ذلك قط.. وأنا أيضا ، إنها المرة الوحيدة التى قلت فيها الحقيقة.

لقد كففت، أخيرا، عن أن تكون عمياء فى موضوع هذا الشاب الذى لايستحقك، لم تستطيعى أن تطلقى بصيرتك حتى تتوصلى إلى ما كان هو، هذا الـ «هو» الذى أعلن لك عن جبروته؟.

ألست مالكة الآن لكل الأوراق؟ ماذا تعتقدين فى رجل لايستطيع أن يتركك لمدة ثلاثة أيام دون أن يطلق عليك كل هذه القنابل من الفاكسات؟ لو لم أكن قبيحا، هل كنت ستفهمين منذ وقت طويل، كنت لن أتأخر فى البوح لك، لكننى كنت مصابا بنفس عقدة سيرانو دى برجراك، ولو قورن هذا الأخير بى، فهو بارع الجمال.

هل تذكرين هذه الليلة، لقد فهمت شيئا عظيما، إن فمى القذر هبة من السماء، لا أحد يملكه عداى، فلو لم أكن بمثل هذا القبح، ما كان علىّ أن أحس نحوك بحب رائع، فالكلمة الملقاة هى: أحب، منذ اللحظة الأولى وحتى آخر درجة.

أنت أجمل، وأنا أقبح، مخلوق على الأرض، وهذا برهان أن كلاً منا مكتوب للآخر، ولايوجد أحد أكثر منى فى حاجة إلى قبح جمالك، ولا أحد

عداك فى حاجة إلى روعة قبحى، فبدونك، أنا رائحة عفنة فى وحله الخاص، وبدونى فأنت ملاك ضحية لبراعتها.

أنت النعمة، ومهما كان، فأنت النعمة الأولى، وأنا النقمة، وفى هذا الإطار، فإن أحدا لايمكن أن يروى ظمئى، هذا يعنى، جيدا، أننى لم أكن عطشا بالمرة إلا بك.

الأرض ليس فيها سوى اكزافيه، وأكثر، أو أقل روعة عند النظر إليه، لكن من يتسم بهذه النقاط المشتركة ملحد فى جمالك، إنهم لايؤمنون بك، أى دين واحد يربطهم، أنا مؤمن بك، كما أؤمن أن فى سحرك قوة مجهولة خالدة.

ليست لديك أدنى فكرة، ياحبيبتى، عن القوة التى استمدها منك!، لم يكن ماركس ماركسيا، ولم يكن يسوع مسيحيا، وليست ايتل ايتليه، ولكننى فى هذا الإطار ايتلى، منصهرا بالاتيليه، وأنا على عقيدتها، ليس هذا لعبا بالكلمات، لا شىء سوى التلاشى.

ليس للتلاشى علاقة بالإخلاص، فأنا لست مدانا لك، أنا متفان بك بمعنى أن سحرك قد هبط علىّ، وأنك قد وهبتينى الحياة، مثلما فعلت العذراء مع وليدها، ومثلما يحب الله المؤمنين به.

أخيرا، فأنت سدرة المنتهى، أحبك إلى الحد ألا أكون إلا بك، قلت إننى أخوك، لست مخطئة لأن جمالك ودمامتى قد تلاقيا، ولأن روعتك صارت شقيقة لدمامتى.

نحن توأم، ياحبيبتى، نحن متشابهان مثلما يجتمع الخير بالشر، مثلما يلتقى الملاك بالحيوان، فإذا توحد جسدى بجسدك، فلن نستطيع أن ننفصل قط، وهذا هو ما أريده.

سوف أرسل لك الفاكس فى الحال. سوف تلاحظين اننى لم أبدأ، بعزيزتى ايتل.. فأنت تعرفين منذ الآن ، انك أكثر من هذا.

ستلاحظين أيضا أننى لم أقل «ملك لك» لأن حبى لك لن يتواءم مع أى ظرف.

لك

ابيفان

أوصيت بأن يرسل هذا الفاكس على وجه السرعة، نظر موظف الاستقبال نحوى كأننى محتد المشاعر، إنه على حق، فالساعة الآن السادسة صباحا فى اليابان، وهى الثانية ظهرا حيث توجد ايتل، وبعد ثوانٍ سوف تعرف، هذه الفترة كفيلة أن تدير رأسى، وتملكنى كبرياء لا مثيل له.

صعدت إلى غرفتى لأعد حقائبى، صدمت وأنا أفتح الباب، فقد غطى الجليد كل الغرفة، وكسا الجدران والأثاث بياض كثيف، مثلما حدث فى فيلم «دكتور زيفاجو»، بدا لى أن هذا هو أقصى حالات الرومانسية، ففى الحمام انتظرتنى مفاجأة أكثر غرابة، فمياه السخان . تجمدت، ويجب أن تكسر الزجاج لتقضى حاجتك.

حملت حقيبتى المجمدة، ونزلت، مد لى موظف الاستقبال بالأوراق الصغيرة التى تؤكد لى أن الفاكس الأخير قد وصل، مما أشعرنى فجأة بالكثير من الفخر.

قادنى تاكسى إلى مطار كانازوا، حيث أشرقت الشمس، وذكرنى هذا المكان أننى فى اليابان، أننى لم أر منها شيئا، وفى الوقت نفسه فكرت أ ن

الأمر على النقيض، فإن بلدا آخر لم يترك فى مثل هذه المشاعر مثل اليابان، فهنا، كانت المرة الأولى فى حياتى التى استطعت فيها أن أسيطر على نفسى، واحتفظ بسرى، بدأت فىّ التساؤل عن هذه المحاولة البالغة العجب، إعلانى عن حبى، ألم يكن بكل بساطة حالة يابانية؟ فتدمير التردد بدا لى ضربا من الشجاعة، هل بقى لى شىء أفعله كى أخون أغلى صمت بالنسبة لى؟.

ذاب مخى، وتبخر تأثير الكافيين، وأحسست أننى مخدر تختلط بى المعاناة والتعب، وعندما أقلعت الطائرة، هبطت معدتى عدة أدوار، ولم تنتابنى أى قدرة للنظر عبر فتحة نافذة الطائرة.

فى طوكيو ، كان يجب أن نغير الطائرة، مما استهلك وقتا قاتلا، هذه الإجراءات كفيلة بأن تدمر معنوياتى، وصعدت إلى بوينج أخرى، تمنيت لو انفجرت، وألا يبقى من فيها على قيد الحياة.

وكانت رحلة العودة عذاب لاينتهى، الدوران حول الأرض لم يكن موفقا لنا هذه المرة، بما يعنى أن الرحلة استغرقت ساعتين أطول، هكذا كانت أوردتى، وحالتى المعنوية أكثر انخفاضا، وكأنها تزداد سوءا، وعندما اقتربنا من أوروبا انتابنى الخوف من اعترافى.

كان يجب أن نطير فوق جبال الأورال عندما قمت بارتكاب حماقة وقرأت الفاكس الشهير، كان هدفى هو اقناع نفسى أن بوحى بالحب لم يكن بالأمر الجسيم، هه، وعند إعادة قراءته، كان يجب أن أحدد فيه، إن النص كان مهولاً أكثر مما هو فى ذاكرتى، وهذا أمر رائع.

لو كنت قادرا على النوم، فإن الليلة البيضاء انهكتنى، ولكن، فى كل مرة يذهب النوم عن عينى، واحساسى أننى سأنقذ ايتل للأبد، يصدمنى.

وكى أقتل الملل، طلبت من المضيفة حبتى اسبرين من حامض الخليك الذى له تأثير فعال بالنسبة لى، وقبل ساعة من الوصول، ايقظتنى ضجة هائلة، انها رؤيتى التى تلف بى، هذه المرأة اللطيفة تشرح لى دون أى اهتمام أن ما يمتعها أكثر فى الطائرة هو أن تشرب المياه المعدنية الغازية، الضغط الجوى هنا يختلف عن حظيرة الأبقار التى نعود إليها ونحن مندهشون.

فهمت أننى من طراز الرجال الذين تبوح لهم النساء بأفكارهن، ويجب على حبيبتى أن تنفجر ضاحكة وهى تقرأ الفاكس.

وكان من سوء الحظ أن البوينج لم تنفجر.

عند العودة إلى المنزل، كان يجب أن أضبط ساعتى، وعلى كل، فنحن يوم الأحد الثانى عشر من يناير، الساعة السابعة مساء، كنت الشخص الأكثر دمامة فوق الأرض، ويجب أن أعرف كيف أبرر ظروف كتاباتى.

أدرت تليفون لإيتل، كأننى أضغط على زناد مسدس فى حالة تأهب:

ـ هأنذا.

أجابتنى بصوت عادى: مساء الخير.

سألت بكل غباء: هل استقبلت الفاكس هذا الصباح؟.

– نعم .

صمت.

ـ لم أرغب فى أن أكلمك يا ابيفان.

ـ لاتليفونات، على كل حال، سآتى عندك.

ـ ليست لدى رغبة لرؤيتك.

ـ مستحيل، يجب أن أتكلم.

ـ لست متفقة معك.

ـ إذن ماذا؟ هل أنا ممنوع من الكلام معك كأننى لم أكتب لك الفاكس؟.

ـ لا أعرف.

كان صوتها يخلو من التعبير، مختنقا وكأنها وحش الزومبى، وانتهزت لحظة ضعفها قائلا:

ـ سوف أحضر.

وبعد نصف ساعة، كنت فى بيتها، فتحت الباب دون آن تنظر إلىّ، كانت ترتدى على أحسن ماتكون الأناقة، ليس من أجلى بالطبع.

ـ هل من أجل اكزافيه تبدين هكذا جميلة الجميلات؟.

ـ ليست لدى الرغبة للكلام معك.

ـ فيم ترغبين أن نتكلم؟.

ـ لاشىء.

ـ أليس لديك ماتقولينه؟.

ـ هه؟.

ـ كاذبة، أنت غاضبة منى، تكادين أن تنفجرى غضبا وأنت تولينى وجهك.

ـ أنت مغال.

ـ ألست أعز أصدقائك؟.

ـ وكيف يمكن أن تكون كذلك أيضا؟.

ـ حسنا، لم تكن لدىّ الرغبة قط أن أكون أعز الأصدقاء.

ـ كان يجب أن تخبرنى منذ اليوم الأول.

ـ إذا كان هذا سيقرب بيننا، هل يمكنك أن تطلبى من أحد أن يحتفظ

بسرك؟.

ـ سر؟ هل تريد أن تنطق كذبا، أيها الكاذب الخائن؟.

ـ ها أنت ترين؟ أنا على حق، أنت غاضبة منى.

ـ لا، الغضب قريب من الحب، وما تلهمنى اياه هو أمر لايمكن قبوله.

ـ لايوجد شيء غير مقبول فى موقفى، أنا أحبك، وأنت لاتحبينى، ليست هذه غلطة أحد، لقد أخفيت عنك حبى لوقت طويل لأننى أعرفه بلا أمل، وقد ارتكبت حماقات فى التعبير عنه، ومن الواضح أننى أخطأت، ألا تعتقدين أن رد فعلك عقاب كاف؟.

ـ لا.

– وأنا الذى عاملتك على أنك الطف من فى العالم.

– فعلا، قل اذن أنها غلطتى.

– أخبرتك أن هذه ليست غلطة أحد.. انها قصة حزينة، لماذا يجب أن تتهمى أحداً؟ ...

ورن جرس الهاتف، انه اكزافيه، وكأحسن ما أتوقعه، الغى كافة مواعيده هذا المساء وتملكتنى السعادة، فان وجه حبيبتى صار منشرحا.

– هذا الشاب لطيف دوما !

– لديه الكثير من الاخطاء، ولكن هذا لايمنع، انه قديس بالمقارنة بك.

– لا تغالى، هل تعتقدين انه سبب كاف لكى لا أعرض عليك هذا؟

– هذا أمر لا يخصك .

– وطوال أسابيع، حكيت لى عنه تفاصيل شديدة الخصوصية، والآن، فإن الأمر لا يعنينى.

– أعرف اننى نادمة على هذا .

– وأنا، ألا تعتقدين أننى عانيت وانا أسمع تصريحاتك التى لا تنتهى؟

– لا يمكنك أن تهتم سوى بما يخصك ! إذا أخبرتنى بحقيقة دخول اللعبة ما كنت قد أدخلتك فى حكايتى.

– لو لم يكن لديك أقل قدر من الاحساس، لاستطعت أن تفهمى هذه الحقيقة دون أن أكشفها لك. لقد طرحت ثلاثة مليارات إشارة كى تخنقنى للأبد.

ابتسمت، معلقة:

– وهى من جديد غلطتى

هذا التعبير أغضبنى:

– لست سوى حمقاء. أنت ستقضين حياتك مع هذا الغبى الذى يخدعك طوال الوقت وأنا، المجرم الوحيد الذى أحبك، تعاملينه ككلب.

قامت، وراحت تبحث عن مرأة ومدتها لى.

– هل تعتقدين اننى أجهل اننى دميم؟

– يقال .

– أنت دميمة .

ضحكت :

– بالتأكيد، أنا الدميمة.

– هل يمكنك أن تتخيلى أننى استطيع أن أعانى، ما أعانيه الآن ...؟

– هيا، فى فاكسك ..

– الليلة الماضية، كنت مجنونا بلا حد، لتعرفى كم أنا آسف ...

– ياللمسكين .

– كيف، انت هل يمكنك السخرية من صعلوك مسكين مثلى؟ لا أفهم

شيئا. أنت صاحبة أقسى قلب فى العالم.

وانفجرت ضاحكة :

– بلا شك، سوف ألخص لك الموقف، ابيفان أكثر الرجال دمامة فى العالم هكذا ولد، ومن الواضح ان هذه ليست غلطته، ولا توجد طريقة لحل هذه المشكلة، ابيفان كبر، وصار عاشقا، لفتاة فى منظوره، هى أجمل فتاة على الكوكب. وللحظة، فإن هذه الفتاة، واسمها ايتل، لم تبادله الحب.

قاسية هذه الفتاة إيتل! يجب أن تعرف أنه يجب الا يكف عن التظاهر. ألا نرى ما يتماشى مع القلب: بلا ، بلا، بلا، مسكين يا ابيفان المصدوم فى حبه النقى ! آه لو وقع على فتاة لها روح عالية، ترى جمالها عبر دمامته، لاشئ جديد تحت الشمس. مثلما حدث. يا للمسكين كوازيمودو، هذا الوحش البائس، هذا الضحية، الذى لم تنصرف بكل النبل.

كانت تتكلم والغباء يلمع من عينيها، لم أرها قط بمثل هذا الشكل، أكملت :

– أنا كالمصادفة، عندما سقط صديقنا كوزيمودو – ابيفان عاشقا، لم يهم بفتاة قبيحة ذات روح رائعة اكتشفها فى الكنوز المخفاة التى عليها أن تفتن بسماته الروحية، لا، بطلنا لم يبحث عن هذه الناحية، فهو يزدرى البنات من عجينته.

– أنا اسمعك. فأنت تجرحينى .

– هذا رأيك، حكاية طرطوفيه، جريمة. يا سيد الروح الجميلة الذى أعلن نفسه بطلا الجمال الداخلى يلعب دور الشهيد لمظهره، ويتهم مجتمعنا السطحى، هذا السيد يريد أن تحبه لسماته الخفية، وأنا لأى سبب خفى أحببتنى.

– أنت لا تفتقدين الى ذلك.

– اجرؤ على التصديق، ولكن ليس من أجل هذه الحقائق، تركع تحت قدمى.

– كيف تعرفين ذلك ؟

– ياللغواية السيئة! ألن تكف عن الكلام عن جمالى؟

– هذا لا يلغى أننى أجد فيك ألف سمة طيبة.

– أرجوك .بلغ النفاق حده، هل أحببت أحدا قبلى؟

– أبدا .

– هذا أمر أشد جسامة، الحب الأول، انه بشع. كيف تريد أن تكون مقنعا مع كل خطبك الجميلة فى معركتك ضد الشكل الخارجى عندما سمعت أنك ستلتقى بأجمل فتاة فى العالم وانها ستقع فى حبك: المصيبة، أنك قد تجاوزتنى، أنا، كعاهرة. القدر هو أنت! أنت تبالغ بشأن عظمة الروح وأنت لا تمتلك هذه الروح. أنت تنتظر منى أن أكون عمياء عن سماتك الجسدية وتلعب دور الضحية لأننى لا أهتم بها، اذن، لو كنت دميمة مثلك. هل كنت تنظر الى؟

– هذا متعذر، هناك تصدع فى تصرفاتى. أنا متهافت. وهذه ليست جريمة.

– بل جريمة. على العكس. من البشع أن نستقبل رسالة حب من هذا النوع، من شخص لا نستطيع أن نحبه.

–أخيرا .. كلمة لطيفة.

– ليست هذه كلمة لطيفة، انها كلمة مريرة: كان علىّ أن أبيع روحى لأستقبل مثل هذه الرسالة، لكن ليس منك.

– صديقك اكزافيه، سيعجز عن الكتابة لك. اذا فكرت فيه .

– اعرف، واعرف ايضا أنك الوحيد القادر على مثل هذا الحب.

– لا أفهم. أنت تهيننى منذ لحظات. تقولين اننى أحبك لدوافع مضاعفة،

والآن تقولين إن حبى غير متكافئ .

– ليس هذا هو التناقض، فحبك ولدت جذوره فى المدفأة، ربما لهذا فإن زهوة بالغة الجمال، ولهذا فإنه مثير للاشمئزاز. اذا كان اعلانك عن حبك قد غيرنى، فإننى أجده مثيرا للرثاء. لا لم أره هكذا. بل أجده مقرفا. كيف لا تشمئز عند اكتشاف أن الرجل الوحيد الذى لا يستطيع أن يحبنى مثلما أحلم لا يعدو أن يكون وحشا ذا طلعة جذابة؟

– كلماتك تغرقنى، وتصيبنى باليأس.

– لا شئ يستحق الغرق يا ابيفان.

– كنت أعرف أن هذا الكلمات ستمسك، هذا رائع.

– تمسنى؟ أنت لم تفهم شيئاً. لقد صدمتنى. ففى نهاية فاكسبك تكلمت عن ممارسة الحب معى، لماذا ارغب فى النوم معك؟، لعلك تتصورنى مجنونة.

– أو نقية، ومجنونة، فى نفس الوقت، مثل حالتى.

– لاشئ نقى فى داخلك.

– حسنا، موافق، ليس هناك شئ نقى فى داخلى؟ ألا أستطيع أن يحدونى الأمل؟

– أبداً ، بتاتاً .

– طالما أن كلماتى اعجبتك، يمكننا أن نعيش الحب بالكتابة.

– أنت مجنون، لا شئ عضوى مثل الكلمات. لا تلح. ابيفان، لاشئ ممكن بينك وبينى، كم وددت لو لم اقابلك قط.

وران الصمت، وجربت الكل من أجل كل شئ.

– نعم . لقد ظللت هناك علامة. بينها وبينك وأنت تجهلينها .

– أى .

– القرنان، هل احتفظت بإكليل الفيلم؟

– بمشاعر الثور؟ نعم .

– هل يمكنك أن تقدميه لى، ليست لديك أى فكرة عم يمثله بالنسبة لىّ.

– شرط أنك تختفى تماما من وجودى .

– أقسم لك .

وراحت تبحث لى عنه. ثم أعطته لى :

– لم أعرف قط أنك فيتشى.

– لم تكونى قط بمثل هذا الجمال وأنت تضعين القرنين فوق رأسك .

ولمست طرفيها بأصبعى، وهى تدمى.

– انتبه، انها خطر، عندما كنت ألعب دور الثور، فشلت ألف مرة أن أغرسه فى المصارع ، ثم فى الحقيقة..

كان عليها ان تقول لى ذلك، انه الاستفزاز.

– ألا تكنّى لى المزيد من العاطفة، ايتل؟

نظرت نحوى فى حزن:

– كنت أحب أن أجرب الحنان معك، يا ابيفان. كنت أحب أكون منحرفة أو مجنونة لأكون قادرة أن أبادلك حبك، لو أحببتك، أعتقد اننى سأكون سعيدة بجنون. لكننى العنك لأنك جعلتنى ألمع بحب جميل كهذا. لن يكون هناك ممكن بينى وبينك .

– إذن .

سألت بابتسامة واهنة : ماذا؟

– قبلة وداع.

ابتسمت: كى تكون النهاية جميلة.

– ستكون هذه أسعد لحظة فى حياتى .

واستعادت لطفها، واقتربت منى، وفتحت ذراعى ثم أغلقتها علىّ، وأحسست اننى ممتلىء، للمرة الأولى فى حياتى.أغلقت عينيها حتى لا ترى

فمى يقبل فمها.

لم تر يدى وهى تمسك بإكليل الثور، وقبل أن أغرس القرنين فى الأوردة أطلقت صرخة، همست بالصوت الاكثر عشقا فى العالم:

- أنت ترين، كل شئ ممكن بينك وبينى، للأبد.

الآن، سوف اعتزل كقاتل، وأعانى من العدالة، والمحاكمة التى تعقد خلال عام، وادان كمذنب، سيفعلون بى ما يشاءون، والأمر سواء بالنسبة لى .

لدى الوقت لأكتب، وأقرأ، ولدىّ الوقت للتفكير فى إيتل. ولا أشعر بالخزى لأننى قتلتها .

وصدر مرسوم أن أوضع في زنزانة منفردة.

فى الزنزانة التى اكتشف جوليان تمام الحب مع السيدة رينال، فى الحبس الذى انتهى بأن قتل فابريس حبيبته كليلة، كان ستندال على حق، اثبت أنه يمكن أن ننعزل عن الضوضاء، وان السجن مكان إباحى.

هنا، كفت دمامتى عن أن تصير مشكلة، لا أحد يراها، ولا شخص يعكس علىّ تأثيرها، حيث يسمح لى بالبقاء وحدى مع حبيبتى، لقد أصبحت شيئا أساسيا: لاشئ حقاً بدونى، من هناك غيرى يمكنك أن يعيد الحياة بالذكريات؟ من غيرى، الآن، يمكنه أن يجسد حاجته كموجود؟ اذا كان اورفيوس قد اغتال ايروديس فلأنه نجح فى أخذها معه الى الجحيم .

اذن .. ليس هناك حب مستحيل .

جينيف: ٥ أغسطس ٢٠٠١

فندق «ماتنسانيش»

روايات الهلال تقدم

كائنات محتملة

بقلم

محمد عزالدين التازى

تصدر : ١٥ مارس ٢٠٠٣

كتاب الهلال يقدم

دفتر أحوال
الاقتصاد المصرى

بقلم

د. محمود عبدالفضيل

يصدر : ٥ مارس ٢٠٠٣

أحـــــدث إصـــــدارات روايـات الهـــــلال

العدد	اسم الرواية	المؤلف	التاريخ	الثمن بالجنيه
٦٣٨	صمت الرمل	محمد عبدالسلام العمرى	فبراير ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٣٩	قبض الريح	على الشوباشى	مارس ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٠	نخلة على الحافة	جميل عطية ابراهيم	أبريل ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤١	المعبر	زياد عبدالفتاح	مايو ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٢	أسرار حميمة	نوريا أمات	يونيه ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٣	أوان القطاف	محمود الوردانى	يوليو ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٤	حالة مستعصية	سعيد سالم	أغسطس ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٥	صهاريج اللؤلؤ	خيرى شلبى	سبتمبر ٢٠٠٢	٧,٠٠
٦٤٦	حلم ليلة افريقية	سبريان إكوينسى	أكتوبر ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٧	ليلة عرس	يوسف أبو ريه	نوفمبر ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٨	رجل أبله امرأة تافهة	محمد ناجى	ديسمبر ٢٠٠٢	٥,٠٠
٦٤٩	ريحانة	ميسون صقر	يناير ٢٠٠٣	٧,٠٠

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٠٩٠٣
I.S.B.N
977- O7- 0864 - x

أميلى نوتومب

- هى الكاتبة التى تتصدر رواياتها سلم المبيعات طوال السنوات العشر الأخيرة .

- مولودة فى عام ١٩٦٧، قضت السنوات الأولى من حياتها فى اليابان ، وتقيم بين فرنسا ، وبلچيكا .

- تتسم كتاباتها بغرابة المفردات اللغوية ، مما يجعل ترجمة أعمالها مغامرة حقيقية ، وهى المرة الأولى التى تترجم إلى خارج اللغة الفرنسية .

- نشرت روايتها الأولى عام ١٩٩٢ ومن أهم أعمالها: «العاشق والرهينة» ١٩٩٣ ، و«أشياء قابلة للاشتعال» ١٩٩٤ ، «نقد لاذع» ١٩٩٥ ، و«اغتيال» ١٩٩٧ ، و«زئبق» ١٩٩٩ ، و«ميتافيزيقا الأنابيب» ٢٠٠٠ ، ثم «روبير اسم علم» عام ٢٠٠٢ .

- حصلت هذه الروايات على العديد من الجوائز الأدبية الفرنسية ، منها جائزة الأكاديمية الفرنسية .

تعتبر أبرز وجوه الأدب الفرنسى المعاصر .

هذه الرواية

هل يمكن لامرأة خارقة الجمال أن تقع فى غرام رجل دميم ، كل ما يمتلكه من ثروة هو قبحه الأبدى ؟

الرجل يطلب من حبيبته أن تتجاوز عن شكله الخارجى ، وأن تنظر إلى جمال روحه وأعماقه ، والمرأة ترد ببساطة متناهية أن على «كوزيمودو» القرن العشرين أن يحب امرأة دميمة مثله ، وأن يكتشف روحها الداخلية ..

إنه عالم ملئ بالغرابة يصير فيه الرجل الأكثر دمامة محكما رئيسيا فى مسابقة اختيار ملكة جمال العالم ، ورغم كل هؤلاء الحسناوات من حوله فإنه يبث لواعجه إلى حبيبته عبر فاكسات تنتقل بين ملايين الأميال .

هذا هو بعض من العالم الغريب الذى ترويه رواية «اغتيال» للكاتبة الفرنسية أميلى نوتومب ، التى وضعت عينيها على بطل رواية «أحدب نوتردام» وأرادت أن تبعثه إلى الحياة ليعيش فى العالم المعاصر ، وأن تقلب كافة المناظير التقليدية فى الروايات المشهورة .

ترى إلى أى حد اختلف العالم من خلال أغرب قصص الحب التى دارت أحداثها عام ١٩٩٧ ؟!

«اغتيال» رواية جديدة على القارئ لم يألف عوالمها من قبل .

عائلة روايات الهلال

● اذا كنت من هواة قـــراءة الابداع الراقى عربيا وعالميا ، فشارك معنا عائلتنا الابداعية «هائلة روايات الهلال».

● احرص على اقتناء نسختك الشهرية ، أو احرص على الاشتراك فيها تصلك بالبريد المضمون الى عنوانك

● ٥٠ عاما من الابداع المثالى

● تم اختـيـارُ أعـمـالنا لتكون أفـضل الاصدارات للسنوات الأخيرة بصفة متتالية.

● تحـصل رواياتنا على أهم الجـوائز الأدبية. وتتم ترجمتها إلى لغات العالم.

● مـرة أخـرى .. إذا كنت من قـراء الابداع الجيد .. فانضم الى «عائلة روايات الهلال».

أدبيات

تبع الآداب والثقافة المعاصرة

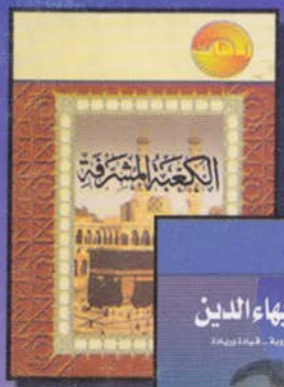

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع
تليفون: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس: ٦٨٢٧٠٠٢